روائع الأدب النرويجي

قصص

حكايات خرافية من بحار الشمال

يوناس لاي

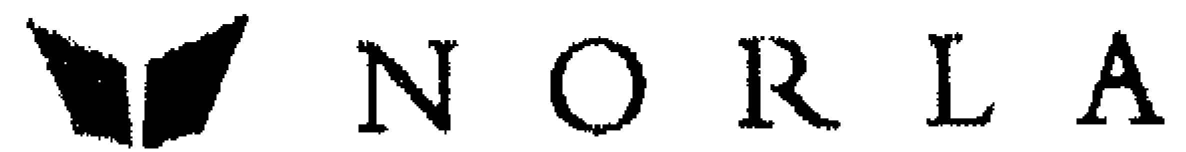


حكايات خرافية

من بحار الشمال

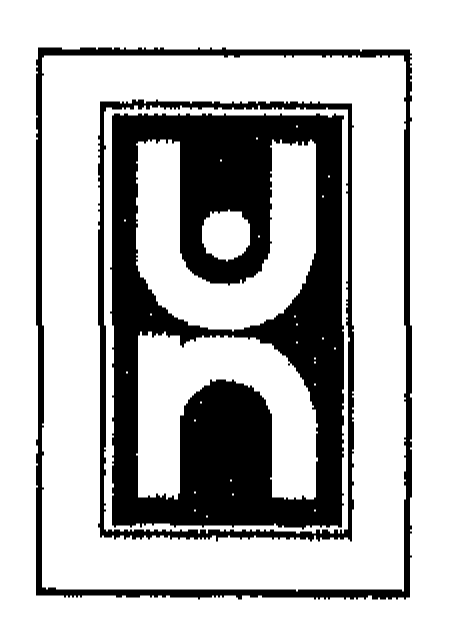
يوناس لاي

بالتعاون مع مؤسسة نورلا





حكايات خرافية من بحار الشمال
تأليف: يوناس لاي
ترجمة: وحدة الترجمة «جمعية نوافذ» - «أحمد الروبي»
مراجعة: ياسر شعبان
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١١



الناشر: جمعية نوافذ للترجمة والتنمية والحوار
رئيس مجلس الإدارة: ياسر شعبان
الموقع الإلكتروني: nawafezsociety.com
البريد الإلكتروني:nawafez_society@yahoo.com
تصميم الغلاف والإخراج الداخلي:
وحدة التجهيزات الفنية بجمعية نوافذ (سماح إمام)



بالتعاون مع مؤسسة نورلا النرويجية

رقم الإيداع: ١١٢٥٩/ ٢٠١١
الترقيم الدولي: ٤ - ٠٩ - ٦٣٣٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

الترجمة الكاملة للمجموعة القصصية:

Weird Tales from Northern Seas ١٨٩٣
Author: Jonas Lie
Translator: R. Nisbet Bain
Illustrator: Laurence Housman

لاي، يوناس
العنوان: حكايات خرافية من بحار الشمال: قصص/ لاي يوناس ط١ - القاهرة
جمعية نوافذ للترجمة والتنمية والحوار ٢٠١١
القصص النرويجية
عدد الصفحات: ٢٠٤
المقاس ١٤ * ٢٠سم
تدمك: ٤ - ٠٩ - ٦٣٣٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مقدمة

أساطير وكائنات خرافية



«يوناس لاي» من الشهرة بحيث تغني كلمات قليلة عن ذكر الكثير لتعريف الناس به؛ فعندما صعد نجمه بروايته الأولى «البصيرة Den Fremsynte»، في عام ١٨٧٠، أصبح الأكثر شعبية لدى العامة في الدول الإسكندنافية، وخلال السنوات الأخيرة، انتشرت رواياته الرومانسية في أرجاء أوروبا. وقد ألف كثيراً من الروايات على اختلاف أطيافها، لكن براعته كانت تتجلى عندما يصف قلمه بحار شمال النرويج الهائجة، وسباق البحارة والصيادين المحموم سعياً وراء رزقهم، فلا يلقون إلا حتفهم في تلك البحار العاتية الخطرة. وتعد قصص مثل «فصول المستقبل الثلاثة Tremasteren Fre-intid» و«مرشد السفن وزوجته Lodsen og hans Hustru» و «تقدم Gaa Paa!» و «البصيرة Den Fremsynte» فريدة من نوعها، فهي تصف صورًا أكثر واقعية وبدون زينة أو تجميل للحياة والشخصية النرويجية مُقارنةً بما يمكن العثور عليه في أعمال غيره الأدبية. وفي الواقع؛ ربابنة «لاي» ورفاقه أرقى من شخصيات كجيلاند «Kjelland»، على سبيل المثال، كما كان فلاحو «جينز تفيدت Jens Tvedt» (مؤلف مازال مغمورًا على المستوى الدولي) أرقى من فلاحي «بيورنستيرن بيورنسون Björnstjerne Björnson».

وتتجلى ألمعية «لاي» الحقيقية وأسلوبه المشوق بشكل كبير عندما يقص علينا أساطير إقليمه الأصلي «نوردلاند»، مُتمثلةً في بعض القصص المشئومة التي ترعرع هو نفسه في كنفها. ويتسق الفن الشعبي لهذه المناطق، دون القطبية، مع قسوة الطبيعة. فقلما نسمع عن عفاريت ودودين أو أقزام خرافيين هناك. فالكائنات الخرافية التي تسكن هذه الشواطئ والبحار خبيثة وشريرة في أغلبها. ومن الواضح أنها تكره البشر وتعشق السخرية من جهودهم وتتسلى بيأسهم وقنوطهم. في روايته الرومانسية الأولى «البصيرة»، يقص علينا «لاي» اثنتين من هذه القصص العجيبة (القصة الأولى والثالثة المختارتان حاليًا). وهناك قصة أخرى تآلفت فيها ببراعة ونسج محكم الكثير من المُعتقدات الخرافية والخيالات الجامحة لصيادي «نوردلاند» لتُشكل خلفية قصة حب ساحرة عنوانها « دم فنلندي Finn Blood». ولقد استقيت منها المجلد «Fortællinger og Skildringer» الذي نُشرَ عام ١٨٧٢. والثماني قصص المتبقية مختارة من كتاب «Trold» الذي تَمّ نشره مُتزامنًا مع أعياد الميلاد عام ١٨٩١. وقد ظهرت السلسلة الثانية من «Trold» لاحقًا في عيد الميلاد، لكنها كانت أدنى بكثير من السابقة لها في المستوى.

الصياد والشبح



يُحكى أن صيادًا فقيرًا مُعدمًا يُدعى «إلياس» عاش في مقاطعة «هيجيلاند»[1] المُطلة على نهر «كفالهولم»، مع زوجته «كارين» التي كانت تعمل بمنزل الكاهن بمنطقة «ألشتاد». وأقام الزوجان كوخًا لهما هنا، وجرت العادة أن يذهب الصياد للصيد نهار كل يوم من أرخبيل «لوفوتين».

ولم يكن هناك شك في أن نهر «كفالهولم» كان مسكونًا. فكلما غاب الصياد عن زوجته، تناهت إلى مسامع «كارين» أصوات صرير وضوضاء على اختلاف أنواعها التي كانت خبيثة المصدر بالتأكيد. فذات يوم، عندما كانت «كارين» أعلى التل تجز الحشائش للاستعانة بها كعلف في فصل الشتاء للنعجتين اللتين بحوزتهما، تناهت إلى مسامعها بكل وضوح ثرثرة تأتي من جهة الشاطئ أسفل التل، لكنها أبداً لم تجرؤ أن تلقي نظرة إلى هناك.

كان الزوجان ينجبان سنويًا، لكن ذلك لم يرقهما لأنهما كانا مقتصدين ومجتهدين في عملهما. وإذ مر على زواجهما سبع سنوات، كان البيت يعج بستة أطفال، ولكن في خريف

[1] مقاطعة تقع شمال النرويج.

هذا العام ذاته كان قد كَدّ كثيرًا في عمله حتى ادخر ماله يعينه على المغامرة بشراء قارب سداسي المجاديف[٢] بحيث يتسنى له الصيد في قاربه الخاص.

وذات يوم، وهو سائر مُمسكًا بحربة الصيد[٣] الخاصة به ومُقلبًا الأمر في عقله، صادف على حين غرة فقمة عملاق يرقد وراء صخرة ينعم بضوء الشمس. فأصيب الحيوان بالدهشة بنفس قدر دهشة الصياد. لكن «إلياس» لم يتردد؛ فمن أعلى الصخرة التي اعتلاها، ألقى بحربته الطويلة الثقيلة فأصاب الحيوان الضخم تحت رقبته بالضبط.

انتصب الفقمة على الفور وقفز في الهواء حتى بلغ الصاري، ونظر إلى الصياد بحقد وشراسة بعينيه الداميتين وقد بدت نواجذه حتى ظن «إلياس» أنه كان من المفترض أن يموت من فرط الخوف. وبعدها غطس في البحر تاركًا بقعة من الدم وراءه. ولكن «إلياس» لم يتوقف ليرى المزيد. لكن في ذات الليلة، جنحت حربته مفصولة عنها رأسها الحديدية حتى مكان قاربه على خليج «كفالكريك» حيث استقر بيته على ضفته.

ولم يلق «إلياس» للقصة بالًا، ولكن خلال الخريف ابتاع القارب ذي المجاديف الستة الذي كان يبنى له حظيرة صغيرة طوال فصل الصيف.

---

٢ قارب بثلاثة مجاديف على كل جانب في جانبيه.

٣ قضيب طويل له رزة معقوفة من الحديد في نهايته كالحربة؛ يُستخدم لصيد الكفيجت والهلبوت.

وذات ليلة، بينما كان مستلقيًا يفكر في قاربه ذي المجاديف الستة، خطر له أن القارب سيكون أكثر اتزاناً إذا ما قام بتثبيت عارضتين خشبيتين إضافيتين على جانبيه، فقد كان ولعه بالقارب كبيراً بشكل سخيف، لدرجة أنه كان يمضي وقت فراغه في النظر إليه على ضوء قنديله.

وبينما كان ينظر إليه، لمح فجأة في الزاوية المقابلة، على مجموعة من شباك الصيد، وجهًا يشبه وجه الفقمة تماماً. نظر إليه الوجه للحظة نظرة انتقام ووحشية وفمه يزداد اتساعًا، وفجأة مرّ رجل ضخم الجثة من الباب، ولكنه لم يكن مسرعًا، ولمح «إلياس» على ضوء القنديل قضيبًا معدنيًا طويلاً معقوفا يخرج من ظهر الرجل. وحاول «إلياس» استنتاج ما حدث، ولازال أكثر اهتمامًا بالقارب من حياته نفسها؛ فكان يجلس فيه بين الحين والآخر مستأنسًا بضوء القنديل، ويراقب الأجواء. وعندما جاءت زوجته في الصباح، وجدته نائمًا وقد خمدت نار القنديل إلى جواره.

وذات صباح من شهر يناير كان «إلياس» بالخارج يصطاد بصحبة رجلين، فسمع في الظلام الدامس صوتًا صادرًا من جزيرة صغيرة صخرية في مدخل الخليج. كان الصوت ساخرًا وناداه قائلاً: «عندما تبتاع لنفسك قاربًا عشاري المجاديف[٤] يا «إلياس»، فانتبه إلى نفسك!».

---

٤ قارب ضخم بخمسة مجاديف على كل جانب من جانبيه يستخدم للصيد في فصل الشتاء تحديدًا في شمال النرويج.

ولكن سنوات عديدة مرت قبل أن يتمكن «إلياس» من شراء قارب كهذا. وذات خريف، عندما بلغ ابنه «بيرنت» عامه السادس عشر، أدرك «إلياس» أنه يستطيع شراء هذا القارب، فانتقل بعائلته كلها في قاربه إلى «رانين»[٥]، لاستبدال قاربه السداسي المجاديف بآخر عشاري. ولم يترك «إلياس» بالبيت سوى فتاة فنلندية صغيرة استعانوا بها لخدمتهم منذ سنوات قليلة، وقد تم تثبيتها مؤخرًا.

كان هناك قارب صغير بعشرة مجاديف يسع أربعة بالغين وصبي؛ يتطلع «إلياس» لشرائه، وهو قارب استكمل بناؤه أبرع بناة القوارب بالمنطقة خريف ذلك العام وطلاه بالقار. ولم يكن لدى «إلياس» فكرة عن الشكل الذي يُفترض أن يكون عليه القارب، وبدا له أنه لم ير قاربًا عشاري المجاديف رائع البناء في جزئه القابع تحت مستوى المياه هكذا. وإن كان القارب يبدو عاديًا في الجزء الطافي فوق مستوى المياه، لدرجة أنه بالنسبة لشخص أقل خبرة من «إلياس»، كان ليبدو أثقل في حركته مما هو عليه في واقع الأمر وأبعد ما يكون عن إتقان الصناعة.

وكان صاحب القارب على دراية بذلك، مثله مثل «إلياس» بالضبط، وقال إنه يظن أن قاربه سيكون الأسرع في «رانين»، ولكنه سيبيعه رخيصًا لـ«إلياس» على كل حال شريطة أن

٥ الميناء الرئيس في تلك المنطقة.

يقطع الأخير على نفسه عهدًا بألا يُدخل أية تعديلات على القارب مهما كانت ولو بإضافة طبقة جديدة من القار. ولم يحصل «إلياس» على القارب إلا بعد أن قطع على نفسه هذا العهد.

ولكن الشيطان[٦]، الذي عَلّمَ صاحب القارب كيف يبنى قواربه بحِنكة في جزئها السفلي المغمور بالماء؛ أما فيما يتعلق بالجزء المَوجودٍ أعلىً سطح المياه، فكان عليه أن يستغل ذكاءه المحدود. ذلك الشيطان لابد وأنه كان موجودًا من قبل، وأملى عليه أن يبيعه بثمن بخس حتى يشتريه «إلياس»، ويشترط عليه أيضًا ألا ينظر أحد إلى القارب عن قُرب. وبهذه الطريقة، تفادى دهان القارب بالقار من أمام ومن خلف.

فَكّرَ «إلياس» في الإبحار باتجاه بيته، لكنه اتجه إلى المدينة وابتاع لنفسه وعائلته بعض الأغراض احتفالاً بعيد الميلاد، وشرب القليل من الخمر. وإذ غمره شعور طاغ بالسعادة بعد أن أبرم صفقة القارب، تناول هو وزوجته جرعة أُخرى من الخمر في ليلتهم هذه، وحتى ابنهما «بيرنت» ذاق الخمر هو الآخر.

وبعدها، أبحروا جميعًا إلى بيتهم في قاربهم الجديد. لم يكن هناك من ثقل لموازنة القارب سواه هو وزوجته العجوز وأطفاله ومستلزمات عيد الميلاد. جلس ابنه «بيرنت»

---

٦ هين كارين .. "الشيطان". والاسم كارين يقابله كارل في الدنمركية.

بجوار حبل الشراع الرئيس، وأمسكت زوجته بحبال الشراع بمساعدة ثاني أكبر أولادها، بينما جلس «إلياس» على الدفة، وتبادل الأخوان الأصغر سنًا (أحدهما يبلغ أحد عشر عامًا والآخر أربعة عشر عامًا) الأدوار في إفراغ القارب من المياه التي تتسرب إليه.

كان عليهم أن يقطعوا ثمانية أميال حتى بيتهم، لكنهم عندما خرجوا إلى عرض البحر، بدا واضحًا أن قاربهم سيخوض تجربة قاسية جدًا في أول رحلة له. فقد بدأت ريح قوية في الهبوب تدريجيًا، وأخذت قِمم من الزبد تعتلي الأمواج العالية العاتية، فأدرك «إلياس» حقيقة القارب الذي اشتراه، فقد تجاوز الأمواج وتفاداها كما النورس البحري؛ فلم تدخل القارب ولا قطرة واحدة، ومِن ثَمّ فقد استقر رأيه على أنه لن يكون بحاجة لأن يستعين بكل عقد الحبال[٧] لمقاومة الريح وهو الأمر الطبيعي بالنسبة لأي قارب عشاري المجاديف في مثل تلك الظروف.

وعلى مقربة منه، رأى «إلياس» قاربًا مُماثلًا لقاربه يحمل على متنه طاقمًا كاملًا وأربع عُقد في الشراع كما في قاربه تمامًا. وكان ذلك القارب يسلك نفس الطريق، وتعجب لأنه لم يلاحظه من قبل. وبدا أن ذلك القارب يسابقه، فما كان من «إلياس» إذ أدرك تلك الحقيقة إلا أن يُحرر عقدة أخرى.

---

[٧] تعنى كلمة Klör عُقد مُثبتة بزاوية الشراع لتثبيته عند هبوب الريح العاتية. وتعنى عبارة «Setja ei Klo» = «تثبيت عقدة في الشراع»، بينما تعنى عبارة "Setja tro, or tri Klör" = "تثبيت عقدتين أو ثلاث في الشراع"؛ أي شد الشراع بقدر أكبر كلما اشتدت الريح.

انطلق قارب «إلياس» في سباق محموم مارًا كالسهم بألسنة وجزر وصخور حتى بدا لـ«إلياس» كما لو أنه لم ينعم برحلة بحرية رائعة كهذه من قبل. لقد كشف القارب عن معدنه الحقيقي وأثبت أنه أفضل قارب في «رانين» بأكملها.

وفى تلك الأثناء، ساءت الأحوال الجوية أكثر، وخاضت العائلة في غمار موجتين عاتيتين بالفعل؛ ضربتا الحبل الرئيس للشراع في مقدمة القارب حيث كان «بيرنت» جالسًا ثم تحركتا باتجاه الريح مَرّةً أخرى بالقرب من مؤخرة القارب.

ومنذ أن خيم الظلام على المكان، ظَلّ القارب الآخر موازيًا لقارب «إلياس» تقريبًا، واقترب القاربان بشدة حتى أنه صار بالإمكان إلقاء بالة «شوال» من قارب لآخر بسهولة ويُسر.

وتسابق الاثنان جنبًا إلى جنب في أمواج أكثر عُنفًا حتى أسدل الليل ستاره على العالم. كان ينبغي أن يطوى الشراع من العقدة الرابعة، لكن «إلياس» لم يشأ أن يستسلم ورأى أنه من الأفضل أن ينتظر حتى يطوي المركب الآخر شراعه أيضًا، وهو ما سيفعلونه لا محالة إن عاجلًا أو آجلًا. كانت زجاجة الخمر تتبادلها الأيادي طوال الوقت حيث كان على الطاقم بأكمله أن يواجه البرد والأمواج الهوجاء والصمود أمامها.

لمعت نيران البحر مُنعكسةً على الأمواج المتلاطمة على مقربة من قارب «إلياس» بحيوية عجيبة في الزبد المحيط

بالقارب الآخر، كما لو كان مجرفة نار تُقلب المياه. من خلال الضوء الفسفوري، كان بإمكانه أن يُميز نهايات الحبال على القارب الآخر بوضوح، ويرى الأشخاص الموجودين على متنه بقبعاتهم، ولكن عندما اقتربت ميسرة قاربهم للغاية، كانت ظهورهم بطبيعة الحال باتجاهه وكان جسم القارب العالي يخفيها.

وفجأةً، ضربتهم موجة عاتية. كان «إلياس» قد لمح قمتها البيضاء في الظلام أعلى قمة المركب حيث كان «بيرنت» جالسًا. وملأت الموجة القارب للحظة واهتزت ألواح المركب بفعل وزن الماء، لكن القارب استقر نصفه على نهايات عوارضه، ثُمّ عَدّل من وضعيته وأسرع مُجددًا مُنطلقًا باتجاه الريح.

وعندما ضربهم الماء بشدة، ظَنّ «إلياس» أنه سمع صرخة مدوية من القارب الآخر؛ ولكن عندما انسحبت الموجة، صرخت زوجته التي كانت جالسة بجوار حبال الصاري بصوت اخترق جسده: «يا إلهي! لقد ابتلع البحر «مارثا» و«نيلز»!» أصغر أطفالهما البالغين تسع وسبع سنوات، وقد كانا جالسين عند مخزن القارب بالقرب من «بيرنت». لم يكن من «إلياس» إلا أن قال: «لا تُفلتي الحبال يا «كارين»، وإلا ستفقدين غيرهما من الأولاد!»

كان يتعين عليهم الآن طي الحلقة الرابعة. وبعدها رأى «إلياس» أنه لا بأس من طي الخامسة والأخيرة أيضًا؛ ذلك أن الريح كانت تتزداد قوة وعنفوانًا؛ ولكن من ناحية أخرى، ولأجل إبقاء القارب بمنأى عن الأمواج الهائجة، لم يجرؤ على خفض الشراع بأكثر مما يستدعيه الأمر؛ لكنهم اكتشفوا أن الجزء الذي يستطيعون حمله من الشراع يتقلص تدريجيًا. هاجَ البحر ولطم الموج وجوههم مُباشرةً، وكان على «بيرنت» وأخيه الأكبر مباشرة «أنطوني»، الذي كان حتى تلك اللحظة يساعد أمه في الإمساك بحبال الشراع، كان عليهما الآن أن يمسكا عوارض الشراع، وتلك حيلة يلجأ إليها المرء فقط عندما لا يتحمل القارب طي الشراع حتى الحلقة الأخيرة، وهي الخامسة في هذا القارب.

وكان القارب الآخر قد اختفى لبرهة، غير أنه عاود الظهور فجأة بجانب قارب «إلياس» مُنطلقًا بنفس سرعته تمامًا؛ لكن «إلياس» بدأ يشعر في تلك اللحظة أن النظرة التي علت وجوه طاقم ذلك القارب لم تَرُق له قط. وبفعل ضوء زبد البحر اللامع لمح وجهي الرجلين الممسكين بعارضة الشراع؛ شاحبين أسفل قبعتيهما، حيث لاحا أقرب شبهًا للموتى منهما للأحياء، والأدهى أنهما لم ينطقا ولو بكلمةٍ واحدة.

وبعيدًا عن ميسرة المركب بعضِ الشيء، لمحَ «إلياس» مُجددًا الزبد الأبيض لموجة عالية أخرى تقطع ظلام الليل.

فتأهب لاستقبالها قبل فوات الأوان. وكانت مقدمة القارب مائلة باتجاه الموجة المسرعة بينما كان الشراع مفرودًا إلى أبعد مدى ممكن بحيث يستطيع القارب الإسراع بما يكفي لشق البحر الهائج والفكاك من تلك الأمواج مَرّةً أخرى. ضربت الموجة بقوة وهدير مُفزع؛ ومرة أخرى استقروا عند نهايات أعرض مكان في القارب. ولكن، عندما انسحبت الموجة، لم تثبت الزوجة عند حبال الشراع. وترك «أنطوني» حبال عارضة الشراع. لقد سقط كلاهما من فوق القارب.

وتلك المرة، ظَنّ «إلياس» أيضًا أنه سمع نفس الصرخة المدوية في الجو، ولكن في منتصفها سمع صوت زوجته بوضوح تناديه باسمه بلهفة والتياع. وكل ما قاله عندما أدركَ أن البحر ابتلعها: «باسم الرب!». ولم يرغب حينها إلا في القفز خلفها ليلحق بها، ولكنه شعر في الوقت نفسه أن من واجبه إنقاذ باقي أفراد عائلته. «بيرنت» وابناه الآخران البالغان من العمر الثانية عشرة والرابعة عشرة اللذان انهمكا في تفريغ المركب من المياه لفترة من الوقت، ولكنهما انزويا لاحقًا في مؤخرة المركب.

واضطر «بيرنت» أن يتولى عوارض الشراع وحده، ومَدّ الآخران يد العون بقدر الإمكان. ولم يجرؤ «إلياس» على أن يترك الدفة تفلت من يده فأمسك بها بيد من حديد، تلك اليد التي فقد الإحساس بها منذ فترة طويلة بفعل الجهد الشديد.

وبعد لحظات ظهر القارب المُصاحب مَرّةً أُخرى. وكان قد اختفى للحظة كما حدث في السابق. والآن، رأى «إلياس» الرجل ضخم الجثة الذي جلس في مؤخرة السفينة بالمكان ذاته الذي كان يجلس فيه. ومن ظهره، وتحديدًا أسفل قبعته، برز فأس حديدي طوله ست بوصات (ظهر أكثر عندما استدار الرجل) لم يخطئه «إلياس» مَرّةً أخرى. والآن، وقد أخذ يُقَلِّب الأمر في عقله، تأكد له أمران: أن القارب المصاحب له قارب أشباح[8]، يديرون دفته على مقربة منه ويريدون هلاكه. والأمر الآخر أنه قُدِّر له في السماء أن تكون هذه رحلته الأخيرة. وذلك لأن من يرى الأشباح فى البحر هالك لا محالة. لم يبح بشيء لمن معه كي لا يفقدوا الأمل، لكنه استودع اللّه روحه سِرًّا.

خلال الساعة الأخيرة تقريبًا، اضطر «إلياس» أن ينحرف عن مساره الصحيح بفعل العاصفة، وقد صار الهواء مُمتلئًا بالثلج أيضًا، فأدرك أن عليه الانتظار حتى الفجر قبل أن يتسنى له أن يرى اليابسة على مرمى البصر. وفي تلك الأثناء، أبحَرَ على نفس المنوال كما فعل في السابق. وبين الحين والآخر، كان الصبية في مؤخرة المركب يشكون من البرد القارص، ولكن هذا أمر خارج عن السيطرة بالنظر للمحنة التي كانوا يمرون بها. علاوة على ذلك، كان هناك أمر آخر يشغل بال «إلياس». فقد طغت عليه رغبة عارمة

٨ شبح خاص بالساحل النرويجي الشمالي، ويجوب البحار على متن نصف مركب. قارن لفظة draug بلفظة draugr الأيسلندية بهذه الكلمة.

في الانتقام، ولولا ضرورة إنقاذ حياة أطفاله الثلاثة، لكان أقدم على الانجراف المفاجئ لإغراق المركب الملعون الذي لازم جانب مركبه طوال الوقت، كما لو كان يسخر منه. لقد أدرك حينئذ المهمة الشريرة لهذا القارب. وإذا كان في الإمكان أن تصل حربة الصيد المعقوفة[٩] إلى قارب الأشباح من قبل، فمن الممكن أن يقوم السكين أو خطاف الأسماك بتلك المهمة الآن بلا شك، وشعر «إلياس» بأنه يستطيع أن يضحي بحياته عن طيب خاطر كي يُمسك بالكائن الذي سلبه أحباءه في هذا العالم دون رحمة ولعله سيسلبه غيرهم أيضًا.

وفي حوالي الثالثة أو الرابعة صباحًا، رأوا موجة من الأمواج المتكسرة على الشاطئ تقترب منهم، اعتقد «إلياس»، من ارتفاعها في بداية الأمر، أنهم على مقربة شديدة من البر، لكنه سرعان ما أدرك «إلياس» حقيقتها، حيث اكتشف أنها موجة عظيمة، ثُمّ بدا له أن ثمة ضحكة هادرة تصدر من القارب الآخر، وأن أحدهم يقول: «الآن يهلك قاربك يا «إلياس»!». وإذ تجلت أمام عينيه الكارثة، صرخ بأعلى صوته «باسم الرب!»، وأمرَ أولاده أن يتشبثوا بكل ما أوتوا من قوة بالأحزمة عند مساند المجاديف إذا غرق المركب وألا يفلتوها حتى يصعد المركب لأعلى مرة أخرى. وتوجه للصغيرين، فأمر الأكبر منهما بأن يتوجه إلى «بيرنت» بينما ضَمّ هو

٩ انظر الهامش رقم ٣.

الصغير إليه وتحسس وجنتيه مرة أو مرتين وتأكد من أنه يمسك الصبي بقوة وإحكام. ارتفع القارب تدريجيًا. بعد أن غمرت الموجة العاتية مقدمته، ثُمّ غطس في المياه مجددًا. وعندما خرج من المياه مَرّةً أُخرى وقد ارتفعت مقدمة القارب في الهواء، اصطف «إلياس» و«بيرنت» و«مارتن» ابن الثانية عشرة جنبًا إلى جنب مُمسكين بالأحزمة عند مساند المجاديف. لكن الأخ الثالث كان قد اختفى.

كان عليهم أولاً أن يجمعوا حبال الصاري في ناحية واحدة، بما يسمح بخروج الصاري من تحت الماء بشكل جانبي بدلاً من الإخلال بتوازن المركب بالأسفل، وبعدها يتعين عليهم ارتقاء الجزء السُفلى المُتمايل للمركب وخرق ثقب المفتاح لإخراج الهواء الذي كان يرفع القارب أعلى المياه ومن ثَمّ التخفيف من وزنه. وبعد أن بذلوا جُهدًا جَهيدًا، كُلل مجهودهم بالنجاح، ومَدّ «إلياس»، الذي صعد على متن القارب أولًا، يد المساعدة إلى ولديه.

ظلوا جالسين في ظلمة تلك الليلة من ليالي الشتاء الطويلة مُمسكين بأيديهم وركبهم بأسفل القارب الذي كانت الأمواج العاتية تُبلله مِرارًا وتكرارًا.

بعد مرور بضع ساعات مات «مارتن»، الذي أمسك به أبوه طوال الوقت قدر المستطاع، مات من فرط الإرهاق، وانسل من

يد أبيه في البحر. حاول «إلياس» و«بيرنت» أن يستغيثا مرات ومرات، لكنهما فقدا الأمل في نهاية الأمر؛ بعد أن أدركا أنه لا طائل من الاستغاثة.

بينما جلسا وحيدين على قعر المركب، قال «إلياس» لـ«برينت» إنه لابد أن يؤمن الآن أنه على وشك أن «يلحق بالآخرين!»[10]. لكنه كان يأمل أن يُنقذ الرب «بيرنت» إذا صمد صمود الرجال. وأطلعه على كل شيء بخصوص الشبح الذي ضربه أسفل عنقه بالحربة المعقوفة، وكيف أنه انتقم لنفسه وأنه لن يتوقف حتى «يتخلص منه.»

قُرابة التاسعة صباحًا، بدت تباشير الفجر. آنذاك أعطى «إلياس» ساعته الفضية ذات السوار النحاسي إلى «بيرنت» الذي جلس إلى جواره، وكان قد فصلها إلى نصفين كي يسحبها من أسفل سُترته المحكمة الأزرار. صمدَ لفترة أطول، ولكن بينما انقشعت الظلمة أكثر، رأى «بيرنت» أن وجه والده كان شاحبًا شحوب الموتى، وشعره مفروقًا من أكثر من موضع كما المُحتضر، وتسلخ جلد يده من شدة قبضه على رافدة القص[11]. أدرك الابن الآن أن أباه يلفظ أنفاسه الأخيرة، وحاول بقدر الإمكان وبحسب ما سمحت به

١٠ Vœre med hu, Mor ،Hu هي الترجمة الدنمركية لكلمة Hun (هوني).
١١ Keel: جزء من السفينة، يمتد بأسفل هيكلها، وقد يبرز أحيانًا، ودوره هو توزيع الوزن على جانبي السفينة بما يحول دون ميلها لأحد الجانبين. (المُراجع)

حركة الأمواج أن يمسك به. ولكن عندما لاحظ «إلياس» ذلك، قال له: «لا، انتبه لنفسك يا «بيرنت»، وتشبث بقوة. أما أنا فسأنضم لأمك باسم الرب!»، وبعدها ألقى بنفسه بغير تردد من أعلى القارب.

إن كل من جلس على رافدة القص لمركب ما لفترة طويلة يعرف تمام المعرفة أنه عندما يستقر البحر، فإنه يهدأ تدريجيًا ولو أن ذلك الهدوء لا يحصل فجأة. وجد «بيرنت» أن الصمود صار أسهل، وانتابه شعور أكبر بالأمل مع ضوء النهار الساطع. خفت حدة العاصفة، وعندما انتهت تمامًا، بدا له أنه يعرف مكانه وأنه كان يبحر في مكان ما على مقربة من موطنه «كفالهولم».

أخذ «بيرنت» الآن يستغيث، لكن أمله الأكبر كان في ريح يعرف أنها ستحمله باتجاه البر إلى مكان حيث يوجد لسان يمتد داخل البحر قاطعًا الأمواج العالية، وكانت المياه في تلك المنطقة راكدة. وأبحر «بيرنت» مُقتربًا تدريجيًا، وأخيرًا دنا بشدة من إحدى الصخور، حتى أن الصاري الذي كان طافيًا بجانب القارب طوال الوقت اندفع لأعلى ولأسفل بفعل الأمواج العالية التي تضرب الجرف الصخري. وعلى الرغم من أن أطرافه صارت يابسة كلها بفعل الجلوس والصمود لفترة طويلة، فقد نجح بعد جهد ضخم في تسلق الجرف حيث

جر الصاري حتى الشاطئ وجعل المركب العشاري المجاديف يتحرك بسرعة أكبر.

طوال الساعتين الماضيتين، ظلت الفتاة الفنلندية، التي بقيت بالبيت وحدها، تُحَدِّث نفسها بأنها سمعت صرخات استغاثة من آنٍ لآخر. وبينما استمرت تلك الصرخات، ارتقت الفتاة التل كي ترى ما يحدث. وعندما وصلت، رأت «بيرنت» على الجرف، والقارب عشاري المجاديف المُحطم يظهر ويختفي أمام الجرف. وعلى الفور أسرعت إلى حيث كان القارب، وأخرجت قارب التجديف القديم، وجدفت بطول الشاطئ وحول الجزيرة متجهة إليه مباشرة.

رقد «بيرنت» مريضًا طريح الفراش تحت رعايتها طوال فصل الشتاء، ولم يذهب للصيد طوال العام. وحتى بعد مرور عام، بدا للناس كما لو كان الفتى معتوهًا بعض الشيء.

ولم يجرؤ على ركوب البحار العالية مُجددًا؛ لأنه أُصيب برهاب البحر. ثُمّ تزوج الفتاة الفنلندية بعد ذلك؛ ورحل إلى مدينة مالانج، حيث اشترى قطعة أرض داخل إحدى الغابات واتخذها بيتًا له. ولازال يعيش فيها حتى الآن في أمان، على حد زعم الناس.

جاك ابن مدينة «سجوهولم» والساحر الفنلندي



لم يكن من الآمن أبدًا، أيام أجدادنا، أن يُبحر المرء في أعالي البحار أثناء فصل الشتاء؛ عندما لم يكن هناك سوى القوارب البائسة في «نوردلاند»، وكان على الأهالي شراء احتياجاتهم من الرياح المعتدلة في أكياس من الساحر[١٢] الفنلندي. ولم يكن الصيادون في تلك الأيام يعيشون حتى الهرم. وكان النساء والأطفال والمقعدون والمصابون بالعرج يُدفنون على الشاطئ.

في إحدى المرات أبحر قارب من مدينة «دجوتو» في «هيلجيلاند»، ليشق طريقه مباشرة إلى جزر «لوفوتين» الشرقية. لكن السمك خلال ذلك الشتاء، لم يكن يلتقط الطُعم، فقام طاقم القارب بالرسو، وانتظروا الأسبوع تلو الآخر حتى انقضى الشهر، ولم يكن بوسعهم سوى العودة إلى ديارهم بأدوات الصيد وقاربهم الخاوي.

ولكن «جاك» ابن مدينة «سجوهولم»، الذي كان بصحبتهم ضحك بصوت عالٍ وهو يقول إنه مادامت تلك

١٢ Gan: هذه الكلمة العصية على الترجمة مشتقة من الكلمة الأيسلندية Gandr، ومعناها السحر الأسود أو الضار.

البقعة تخلو من الأسماك، فلابد أن تكون هناك بقعة أُخرى باتجاه الشمال غنية بها، وأضاف أنهم لم يقطعوا كل هذه المسافة ليعودوا بخفي حنين.

كان «جاك» صبيًا صغيرًا لم يسبق له الخروج للصيد من قبلِ. ولكن ما قاله حَمل في طياته شيئًا من المنطق، هكذا ظَنّ كبير الصيادين. وعلى ذلك فقد أبحروا باتجاه الشمال.

وفي البقعة الجديدة، لم يكونوا أوفر حظًا من ذي قبل، لكنهم أنهكوا أنفسهم حتى فرغت مؤونتهم. وبعدها أصر الجميع على التخلي عن الفكرة برمتها والعودة إلى أرض الوطن.

فأبدى «جاك» رأيه قائلًا: «إذا كانت الأسماك غير موجودة هُنا، فلابد أن هناك بعضًا منها في أعالي البحار شمالًا، وما دمنا قد قطعنا تلك المسافة الطويلة، فلا بأس أن نخوض في البحر لمسافة أطول بقليل.»

فانتقلوا من بقعة صيد إلى أخرى يجربون حظهم، حتى وصلوا إلى «فينمارك»[١٣]. ولكنهم تعرضوا لريح عاصفة ضربتهم هناك، وعلى الرغم من محاولتهم العثور على مأوى لهم تحت الألسنة البحرية، فلقد إضطروا في نهاية المطاف للخوض في غمار أعالي البحار مَرّةً أُخرى.

١٣ المقاطعة الواقعة في أقصى الشمال بالنرويج داخل الدائرة القطبية الشمالية.

وصادفوا حظًا أسوأ مما سبق على الإطلاق. وعاشوا فترة عصيبة. وغمرت الأمواج العاتية مُقدمة القارب مرارًا. وفي فترة لاحقة خلال ذاك اليوم، غرق المركب.

ها هم جلوس لا حول لهم ولا قوة على رافدة القص وسط بحر هائج، وبدأوا جميعًا يلقون باللائمة على الفتى «جاك» الذي أغواهم وقادهم إلى الهلاك. وأخذوا يفكرون ماذا سيحل بزوجاتهم وأطفالهم الآن؟ ... حتمًا سيتضورون جوعًا بعد أن يفقدوا عائليهم.

عندما حَلّ الظلام، تيبست أياديهم وحملتهم الأمواج واحدًا تلو الآخر.

وسمع «جاك» ورأى كل شيء حتى آخر صرخة؛ وآخر محاولة للتشبث ببقايا القارب الغارق، ولم يكفوا عن تقريعه حتى النهاية لأنه قادهم إلى تلك الكارثة ولم يتوقفوا عن التحسر على حظهم السيئ.

حَدَّثَ «جاك» نفسه قائلًا: «يجب أن أتشبث جيدًا الآن.» لأنه كان أفضل حالًا من هؤلاء الذين سقطوا في البحر. فأحكم ركبتيه على رافدة القص وتشبث بها بقوة حتى أضحى لا يشعر بيديه أو قدميه من شدة تعلقه وتشبثه.

وفي ظلام الليل العاصف تراءى له أنه سمع صرخات فرد أو أكثر من طاقم قوارب أخرى. فحدث نفسه قائلًا: «هُم أيضًا

لديهم زوجاتهم وأطفالهم، وأتساءل ما إذا كان لديهم كذلك «جاك» ليلقوا باللائمة عليه أيضًا!»

وبينما رقد هكذا وانجرف تدريجيًا مع الموج، وبدا له أن الفجر قد أوشك على البزوغ، شعر فجأة أن القارب واقع تحت سيطرة تيار قوي يسحبه بقوة تجاه الشاطئ؛ فأدرك أنه قد وصل بلا شك إلى الشاطئ أخيرًا. لكنه أينما نظر، كان يرى جرًا أسود وثلجًا أبيض.

والآن، وهو على الشاطئ، جال ببصره إلى اليمين واليسار؛ فرأى على مسافة بعيدة جدًا دخان أكواخ «الفين جام»[١٤] المُشيدة أسفل جرف، وتمكن من الصعود إليها.

كان الفنلندي طاعنًا في السن، حتى أنه لم يقو على أن يُحرك ساكنًا. وكان يجلس وسط الرماد الدافئ مُتمتمًا في كيس كبير، دون أن يتكلم أو يجيب. وهناك سرب من النحل الطنان الأصفر اللون يزوم حول الثلج كما لو كان الوقت منتصف الصيف؛ ولم يكن هناك سوى فتاة صغيرة تذكي النار وتُطعم العجوز. وكان أحفاده من الصبية والبنات برفقة الأيل على مسافة بعيدة جدًا على جبل «فجيلد».

---

١٤ Fin gamme: أكواخ يتميز بها الفنلنديون النرويجيون.

هناك تمكن «جاك» من تجفيف ملابسه بالكامل، وكانت الراحة هي غايته ومراده. لم تفهم الفتاة الفنلندية «سايمكي» الكثير مما قال؛ لكنها أطعمته من لبن الأيل ونخاع العظم، واستلقى نائمًا على جلود الثعالب الفضية.

كان الجو مُرِيحًا وهادئًا وسط الدخان المنتشر هناك. ولكن، بينما رقد هكذا، وبين نومه وصحوه، بدا له أن هناك الكثير مِن الأشياء الغريبة تَحدث من حوله.

وقفَ الفنلندي في المدخل يتحدث إلى أيائله على الرغم من أنها موجودة بعيدًا في الجبال. ونبح كالذئب وهدد الدب وتوعده بالسحر، ثُمّ فتح كيسه الجلدي فدخلته الريح ودوى صفيرها، وحدثت دوامة داخل الكوخ. وعندما هدأت الأمور مَرّةً أخرى، تكاثر النحل الأصفر في الجو واستقر عند فروته، بينما طفق هو يتمتم ويهذي بكلام غير مفهوم ويهز رأسه الشبيه بالجماجم.

لكن كان هناك شيء آخر يشغل «جاك» بخلاف التعجب من هذا العجوز الفنلندي. فما إن ذهبت غشاوة النوم من عينيه، حتى توجه إلى حيث كان قاربه.

كان القارب قابعًا على الشاطئ ومائلًا كالحوض، بينما مست الأمواج رافدة قصه وتتابعت عليها. سحب «جاك» القارب أكثر إلى الشاطئ؛ بحيث أبعده عن مياه البحر.

ولكن كُلما دارَ من حوله وطالَ تفقده له، بدا له أن بُناة القوارب كانوا أحرص على تسرب مياه البحر إليها من إبعادها عنها. كانت مُقدمة القارب أفضل بعض الشيء من أنف الخنزير، وكانت الألواح الخشبية عند رافدة القص مُسطحة كقاع الصندوق. وحدث نفسه بضرورة أن يكون كل مكون من مكونات القارب في وضع مختلف حتى يبحر القارب بأمان وسلاسة. كان يجب رفع مقدمة القارب بمقدار لوح أو لوحين على الأقل، وكان من الأفضل أن تُصنع المُقدمة حادة وطيعة، كي تنثني قبل قدوم الأمواج وتشق طريقها بسهولة عبرها في الوقت ذاته، وبذلك يتسنى للمرء توجيه قاربه ببراعة.

وظَلّ يُفكر في ذلك ليل نهار، ولم يكن يسترخى إلا عندما يتبادل أطراف الحديث مع الفتاة الفنلندية ليلًا.

لقد لاحظ أن الفتاة «سايمكي» وقعت في حبه. فكانت تتبعه حيثما ذهب، وكان الحزن يتسرب إلى عينيها كلما اتجه ناحية البحر، حيث كانت تعرف أن كل ما يشغل باله هو الرحيل.

لكن «سايمكي» أخذت تلاطفه وتطلب وده بعينيها البنيتين، وأغدقت عليه بمعسول الكلام حتى جذبته إلى مكان الدخان، حيث صار بمقدور العجوز الفنلندي أن يسمعهما.

أدار الساحر الفنلندي رأسه باتجاه اليمين، ثُمّ قال: «عيناي غائمتان والدخان أدمعهما. ما الذي يمسك به «جاك» هناك؟»

فأجابت الفتاة هامسة: «إنه طائرُ التَّرْمَجان الأبيض الذي نصبتَ له شركًا ووقع فيه.»

وشعر «جاك» بوجودها إلى جواره وتسري في جسدها كله رعشة شديدة.

وبعدها قالت له بصوت ناعم جدًا، بحيث اعتقد أن أفكاره هي التي تتحدث إليه، بأن العجوز الفنلندي غاضب ويتمتم بكلمات تفوح منها رائحة الشر ويُنشد سحرًا[١٥] يريد به أن ينال من القارب الذي كان «جاك» يود أن يبنيه. فإذا تمكن «جاك» من بناء هذا القارب، لن يستطع الساحر الفنلندي أن يبيع رياحه المعتدلة في نوردلاند. وحذرته، وطلبت منه أن يعتني بنفسه وألا يتدخل بين الفنلندي ونجل الساحر.

وشعر «جاك» أن قاربه ربما سيكون السبب في هلاكه. ولكن، كلما ساءت الأمور، زاد إصراره على استغلالها الاستغلال الأمثل.

في الفجر، وقبل أن يصحو الفنلندي، شق طريقه إلى البحر.

---

١٥ ينشد أناشيد (سحرية في هذا السياق) على غرار أناشيد الفنلنديين. من الأرجح أن هذه الكلمة مشتقة من الكلمة الفندلندية joikuu التي تعني «الإنشاد الرتيب».

ولكن، كان هناك شيء غريب جدًا يتعلق بتلال الثلج. فقد كانت كثيرة وطويلة جدًا حتى بدا أنها لا تنتهي، وظَلّ يتعثر في طبقات من الثلج تزداد سمكًا، ولم يصل إلى الشاطئ قط. ولم ير «جاك» أضواء الشفق القطبي من قبل تدوم كل هذا الوقت طوال النهار. فقد اشتعلت ولمعت، وطاردته ألسنة طويلة من النار، ولم يتمكن من العثور على الشاطئ أو القارب، ولم يكن لديه أدنى فكرة قط عن مكانه الحالي.

وأخيرًا اكتشف أنه ضَلّ طريقه بعيدًا وهو على البر، بدلاً من أن ينزل إلى الشاطئ. ولكن، بعد عودته، غشاه ضباب البحر الذي كان غير بعيد، وكان كثيفًا جدًا ورمادي اللون حتى استعصى عليه أن يرى يديه أو قدميه. وبحلول الليل، كان الإرهاق قد تمكن منه تمامًا، وحارَ فيما يجب أن يفعل.

أَسدَلَ الليل أستاره، وزادت كُتل الثلج تكدسًا. وبينما جلس «جاك» على حجر وبدأ يُفكر كيف ينجو بحياته، ظهر زوج من أحذية الثلج بنعومة وسلاسة من بين ضباب البحر واستقر أمام «جاك» مباشرة.

وصدر صوت من الحذاء قائلًا: «طالما أنك عثرت عليّ، يمكنك أن تجد طريق عودتك بسهولة.»

انتعل «جاك» الحذاء الثلجي، وتركه يسير به ويوجهه أعلى جانب التل والجرف شديد الانحدار. ولم يدع عينيه ترشدانه ولا قدميه تحملانه. وكان كلما زادت سرعته،

ازدادت كثافة ندف الثلج، وطغى عليه رذاذ البحر ودفعت به الريح العاصفة، التي هبت على مقربة شديدة منه، بعيدًا مع حذائه الثلجي.

صعد «جاك» تلال وهبط وِديانًا عبر جميع المناطق التي قطعها أثناء النهار، وأحيانًا بدا له أنه ما من أرض صلبة تحت قدميه وأنه يُحلِّق في الجو.

وفجأةً تصلب الحذاء الثلجي، ووجد «جاك» نفسه واقفًا أمام مدخل كوخ الساحر الفنلندي، و«سايمكي» واقفة حيث كانت تبحث عنه.

قالت «سايمكي»: «أرسلت حذائي الثلجي في أثرك لأنني شعرت أن الفنلندي سَحرَ الأرض كي لا تتمكن من العثور على القارب. حياتك في مأمن الآن لأنه أنعم عليك بهذا البيت كي تحتمي به، ولكن من الخطر أن تراه في ليلتنا هذه.»

وبعدها، أدخلته خلسةً كي لا يراه الفنلندي من فرط الضباب الكثيف، وأمدته باللحم والمأوى كي يستريح.

ولكن، عندما استيقظ في الليل، سمع صوتًا غريبًا، وكان هناك طنين وإنشاد من مكان بعيد في الجو:

الفنلندي لا يستطيع أن يربط القارب قط

والبَحّار لا يستطيع أن يعثر على النحل

لكنه يدور في دوامات بلا هدف ولا أمل

كان الفنلندي جالسًا بين الرماد ينشد أشعاره السحرية ويتمتم حتى ارتجت الأرض بشدة، بينما رقدت «سايمكي» وجبينها على الأرض ويداها متشابكتان بقوة خلف رقبتها؛ تدعو عليه وتتوسل إلى إله الفنلنديين. وأدرك «جاك» الساحر الفنلندي لازال يطارده وسط ندف الثلج وضباب البحر وأن حياته عرضة للخطر بفعل التعاويذ السحرية التي يصنعها له.

وعلى ذلك، ارتدى ملابسه قبل أن يطلع النهار وخرج، ثُمّ عاد شاقًا طريقه سيرًا على الأقدام حتى غشيته الثلوج، وزعم أنه كان يطارد الدببة في مأواها الشتوي. لكنه لم يشهد ضبابًا جريًا قط هكذا؛ لقد تحسس طريقه في كل مكان قبل أن يعثر على طريقه إلى الكوخ مَرّة أخرى، ولو أنه كان واقفًا على أعتابه وحسب.

جلس الفنلندي العجوز مُمسكًا بلفافاته الجلدية المليئة بأعداد مهولة من النحل كما لو كانت خلية نحل كاملة. لقد

أرسلها تبحث في كل اتجاه، ولكنها عادت جميعها وكانت تطن وتزن حوله.

عندما وقعت عيناه على «جاك» عند عتبة الكوخ، وأدرك أن النحل أشار إلى الوجهة الصحيحة، هدأت ثورته بعض الشيء، وضحك حتى ارتج جسده بانتظام داخل ملابسه الجلدية، وتمتم قائلًا: «سنشد وثاق الرجل الشرس بسرعة تحت حوض غسيل الآنية، وسأجعل عينيه[16] تزيغان بحيث يعجز عن رؤية قاربه[17]، وسأضرب وتدًا في الأرض أمامه حتى حلول الربيع.»

ولكن، في اليوم نفسه وقف الفنلندي عند عتبة الكوخ، وانشغل بعمل التعاويذ السحرية وإشاراته الغريبة في الهواء. وبعدها أرسل نحلتين بشعتين طارتا في مهمة خاصة، وأرسل لطخات سوداء وراءهما في الثلج أينما ذهبتا. وكانت مهمتهما إلحاق الأذى ونشر الأمراض في كوخ موجود بالمستنقعات، وإفشاء مرض الفنلنديين خارج البلاد، الذي كان من المرتقب أن يُصيب عروسًا صغيرة بمدينة «بودو» بالسل.

لكن «جاك» لم يُفكر في شيء ليل نهار سوى التغلب على الساحر الفنلندي.

١٦ يعني التعبير الأيسلندي Kvera Syni يخدع البصر بإلقاء تعاويذ سحرية على العين.
١٧ أي القارب الذي أراد "جاك" أن يبنيه.

تملقته الفتاة «سايمكي» وانتحبت وتوسلت إليه ألا يحاول النزول إلى قاربه مرة أخرى، لو كان يقيم لحياته وزنًا. ولكنها اكتشفت في نهاية المطاف أن توسلاتها لا رجاء منها. فقد قرر «جاك» الرحيل.

قَبّلت يديه وبكت بُكاءً يخلع القلوب. فكان عليه، على الأقل، أن يعدها بالتمهل حتى يرحل الساحر الفنلندي إلى جبل «جوكموك»[18] بالسويد.

وفي يوم رحيله، جالَ الفنلندي حول كوخه مُمسكًا بمشعل في يده، وحصرَ ما يملكه.

وفي مكان بعيد، امتدت مراعي الجبل حيث الأيائل والكلاب، ودنا أهل قرية الفنلندي جميعًا. ذكر الفنلندي قصة الوحوش، وأمرَ أحفاده ألا يتركوا الحبل على الغارب للأيائل كي لا تضل بعيدًا ولا يستطيعون حمايتها من الذئاب والدببة. وبعدها، تناول شرابًا منومًا، ورقص ودار حول نفسه حتى تقطعت أنفاسه؛ فسقط على الأرض وهو يئن، ولم يبق منه سوى فرائه. وانتقلت روحه وقطعت الطريق كلها حتى جبال «جوكموك».

كان السحرة يجلسون جميعًا في الضباب الأسود المحيط بالبحر تحت سفح الجبل الشاهق، يتهامسون فيما بينهم

١٨ جبل بين السويد والنرويج.

حول خفايا الأمور المختلفة وأسرارها. وينفخون أرواحًا في المبتدئين الذين يتعلمون السحر الأسود.

لكن النحل، الذي ظَلّ يطن ويطن، أخذ يدور حول فراء الساحر الفنلندي الذي تركه واتجه إلى الجبل، يدور في حلقة ذهبية اللون، يراقب ويلعب دور الحارس الأمين.

وفي الليل، استيقظ «جاك» وقد شعر بشيء يشده ويجذبه؛ شيء بعيد جدًا. ثُمّ هَبّ تيار من الهواء، ومن بين ندف الثلج بالخارج سمع صوتًا يناديه بلهجة تهديد قائلًا:

حتى تستطيعْ السباحة كالبط،

أنثى أو ذكر،

فإن البيضة[19] التي ستفقس

لن تكمل النمو،

ولن يتركك الفنلندي قط تبحر

جهة الجنوب،

---

[19] أي القارب الذي سيبنيه.

ذلك أنه سيحجب الريح ويحبس

العواصف..

وعند انتهاء تلك الكلمات، كان الساحر الفنلندي واقفًا أمامه؛ ومال عليه مباشرة. وتدلى جلد وجهه طويلًا بتجاعيده الحادة القاسية، فكان أشبه بجلد أيل عجوز، وبعينيه دخان دوار. وبدأ «جاك» يرتعش وتيبست جميع أطرافه، وأيقن أن الفنلندي مُصمم على إلقاء تعويذة عليه.

حينئذ جعل وجهه جامد الملامح في مواجهته، كي لا تصيبه التعاويذ السحرية؛ وبذلك دخلا في صراع محموم حتى تغير لون وجه الساحر الفنلندي إلى اللون الأخضر؛ وقد أوشك على الاختناق.

بعد ذلك أرسل سحرة «جوكموك» تعاويذ سحرية في إثر «جاك»، وعملوا على بلبلة أفكاره والتشويش عليها، فانتابه شعور عجيب للغاية؛ فكلما انشغل بإصلاح قاربه ووضع شيئًا في موضعه الصحيح، كان شيء آخر يتلف على الفور، حتى شعر في نهاية المطاف وكأن رأسه ممتلئة بالإبر والدبابيس.

غَمره بعدها شعور بالأسى، وعلى الرغم من محاولاته العديدة لجمع شتات قاربه، فلقد باءت جميعها بالفشل، وبدا له أنه لن يستطيع عبور البحر مَرّةً أُخرى.

ولكن في فصل الصيف، كان «جاك» يجلس مع «سايمكي» على لسان بحري في الليالي الدافئة، وكان طنين البعوض وصوت تقافز الأسماك بالقرب من الشاطئ يشقان الصمت في سكون الليل، وقد أخذ بط العيدر[20] يسبح أمامهما.

تنهد «جاك» وندب حظه قائلًا: «آه لو استطاع شخص ما أن يبني لي قاربًا سريعًا سرعة الأسماك؛ له القدرة على ركوب الأمواج كما نورس البحر. عندها سأتمكن من الرحيل.»

فسمع صوتًا من ناحية الشاطئ يقول: «هل تحب أن أدلك على «ثُجوتو»؟»، وكان هناك رجل واقفًا عند الشاطئ مُعتمرًا قبعة جلدية مسطحة مقلوبة رأسًا على عقب، فلم يستطيعا تمييز ملامح وجهه.

وهناك.. بعيدًا عن الصخور حيث كان بط العيدر لا يزال يسبح في ماء البحر، استقر قارب طويل وضيق بمُقدمة ومؤخرة عاليتين. وعكست مياه البحر بوضوح الألواح المطلية بالقار؛ ولم يبد أن هناك أي عقدة في تلك الأخشاب.

---

٢٠ اسم لعدد كبير من الطيور التي تعيش بالقرب من مياه البحار. هذه الطيور مشهورة بالريش الناعم الرقيق حول صدرها. يعيش أكثر أنواع بط العيذر شيوعًا في المياه الشمالية. وتزن الواحدة ما يقارب الكيلوجرامين ويُربّى عادة في مواقع مكشوفة مثل الجزر البعيدة عن الشواطئ أو على شواطئ البحيرات. يتغذى بط العيدر بشكل رئيس على الرخويات. الجزء السفلي من ذكر البط أسود اللون بينما لرأسه وظهره لون أبيض قشدي، أما الأنثى فلونها بُني غامق ضارب للحمرة، ومخطط باللونين البني والأسود. تضع الأنثى عادة ما بين أربع وست بيضات ذات لون أخضر زيتوني فاتح. ويعيش العيدر الملك على الشواطئ القطبية الشمالية. (المراجع)

فقال له «جاك»: «سأكون متنًا إذا قُمتِ بإرشادي.»

عندما سمعت «سايمكي» ذلك، انخرطت في البكاء والتصرف بتهور ورعونة. وتشبثت برقبته ولم تسمح له بالرحيل، وأخذت تصرخ وتهذي بكلام غير مفهوم من شدة بكائها، ووعدته بأنها ستهديه حذاءها الثلجي ليعبر به أي شيء، وقالت إنها ستسرق العصا العظمية من الساحر الفنلندي لأجله، بحيث يتمكن من العثور على الدولارات القديمة الجالبة للحظ والمدفونة تحت الأرض، وستعلمه كيف يصنع العُقد اللاقطة لأسماك السلمون في شباك الصيد، وكيف يستطيع استدراج الأيائل من بعيد. سيصيب ثروة طائلة تضارع ثروة الساحر الفنلندي إذا لم يهجرها.

لكن عين «جاك» كانت مُنصبة على القارب القابع في البحر. قفزت من مكانها، وقطعت ضفائرها وأوثقت قدميه بها حتى اضطر لمقاومتها ودفع الضفائرَ بعيدًا عنه كي يخلص نفسه منها.

قال «جاك»: «إذا ظللتُ هنا، ورضيتُ بالعبث معك ومع الأيائل، سيضطر كثير من البؤساء إلى التشبث برافدة قص القارب[٢١] بين الحياة والموت. إن شئت تصحيح الأوضاع، قَبليني وضُميني ضمة وداع، أم أنك تريدينني أن أرحل دونهما؟»

---

٢١ يعني ذلك أنه لن تتاح له الفرصة قط لبناء القارب الجديد الذي كان عازمًا على بنائه.

وبعدها ألقت بنفسها بين أحضانه كقطة برية. ونظرت إلى عينيه مباشرة بعينيها المغرورقتين بالدموع. وارتعشت وضحكت وسكنت حركتها جواره.

لكنها عندما أيقنت أنه ليس بيدها حيلة. انطلقت مُبتعدة عنه. ولوحت بيديها أعلى رأسها باتجاه «الجامي»[٢٢].

عندئذ أدرك «جاك» أنها ستستشير الساحر الفنلندي، ومن الأفضل له أن يحتمي بقاربه قبل أن تُسد الطرق أمامه. وحقيقة الأمر أن القارب اقترب كثيرًا من الصخور حتى أنه لم يكن بحاجة إلا لوضع قدميه على مقاعد التجديف. وانزلقت الدفة في يده. وجلس أحدهم مائلًا وراء الصاري عند مقدمة القارب. ورفع الشراع وشَدّه. لكن «جاك» لم يروجهه. وأبحرا معًا.

لم ير «جاك» مثل هذا القارب الذي ينطلق مُسرعًا مدفوعًا بالرياح. وعلت الأمواج في كل اتجاه من حولهما. فبدا البحر كما لو كان رُكامًا ثلجيًا، رغم أنه كان هادئًا. ولكن قبل أن يبتعدا كثيرًا، علا صوت مزمار مُزعج في الهواء. وصاحت الطيور وانطلقت باتجاه الشاطئ. وارتفع البحر كجدار أسود من ورائهما.

---

٢٢ gamme: كوخ الفنلندي.

لقد كان ذلك من أفعال الساحر الفنلندي الذي فتح كيس الريح الخاص به، وأرسل عاصفة خلفهما.

سمع جاك صوتًا من وراء الصاري يقول: «إننا بحاجة إلى الإبحار بأقصى سرعة في هذا المرجل الذي صنعه الفنلندي.»

لم يهتم الرجل الذي كان يسيطر على القارب بالجو، حتى أنه لم يكترث بسحب ولو عروة واحدة من الشراع.

وبعدها، أرسل الساحر الفنلندي عقدتين[٢٣] خلفهما.

انطلقا أسرع والقارب يتراقص بهما في خليج ضيق طويل، وظهرت في البحر دوامات تعالت لتصبح أعمدة زبد بلغت عنان السماء. ولم تكن هناك طريق للنجاة غير أن ينطلق بهما القارب بسرعة الطير؛ بل وأسرع من الطير.

وفجأة، دوت قهقهة عالية بالقرب من ميسرة القارب:

« نفخ «أنفين جلانفين» بفمه نفخة قوية،

وأطاح بنا جهة الجنوب؛

هناك شق[٢٤] في الكيس،

يجب أن نفك ثلاث عُقد...»

---

٢٣ Twinde Knuder. عندما عقد الفنلندي عقدة سحرية واحدة، أرسل ريحًا عاتية، ومن ثم فإن عقدتين سترسلان عاصفة.

٢٤ أي حيث أخرج الساحر الفنلندي الريح.

وعندما استعاد القارب عافيته مُبحرًا بثلاث عُقد في شراعه، والرفيق ضخم الجثة يجلس منفرج الساقين على اللوح العلوي للقارب بحذاء البحر الضخم الذي يرتديه مُتدليًا في الزَبد، انطلقا سريعًا عبر رذاذ المياه الذي يعمي الأبصار حتى بلغا عرض البحر في قلب الرياح العاتية.

كانت الأمواج المتلاطمة عالية جدًا حتى أن «جاك» عجزَ عن رؤية ضوء النهار، ولم يستطع أن يُميز ما إذا كانا يبحران قريبًا من الشاطئ أم في أعالي البحر.

شق القارب البحر بخفة كما لو كانت مقدمته زعنفة سمكة مراوغة، وأخشابه ملساء ومتماسكة كما لو كانت قشرة بيضة طائر خطاف البحر؛ ولكن كلما كان «جاك» يُمعن النظر، لم يستطع أن يرى نهاية لتلك الأخشاب؛ فقد بدا أنه على متن نصف قارب لا أكثر ولا أقل، وفي نهاية المطاف بدا له كما لو أن الجزء الأمامي بأكمله انفصل بفعل زبد البحر وأنهما ينطلقان إلى الأمام بقوة الشراع بنصف قارب فقط.

وفي المساء، خاضا في وهج البحر الذي تألق كالجمرات المُشتعلات، وكان هناك صوت عواء بشع في الهواء في اتجاه الريح.

وأجابت الريح صرخات استغاثة وأنين بشري مُعذب من كل القوارب الغارقة التي مروا بها، وأناس بوجوه شاحبة للغاية يتشبثون بمقاعد مجاديفهم. ألقى بريق الوهج البحري بضوء أزرق على وجهيهما، فجلسا وقد فغرا فَميهما وحدقا في العاصفة صارخين.

وفجأة استيقظ، وسمع صوتًا يصيح: «أنت الآن في أرض الوطن، في «ثجوت» يا «جاك»!»

وعندما استعاد وعيه بعض الشيء، أدرك مكانه. فقد كان يرقد على الصخور بالقرب من حظيرة القوارب بأرضه. لقد ارتفع المد عاليًا جدًا حتى بلغ الماء اليابسة ولمعت كتلة من الزبد على حقل البطاطس، وبالكاد كان يستطيع الوقوف من شدة العاصفة. جلس في حظيرة القوارب، وشرع ينقش علامات بشكل قارب الأشباح على الرمال في الظلمة الشديدة حتى غلبه النعاس.

عندما أشرق الصباح، جاءته أخته بسلة مملوءة باللحم. ولم تستقبله كما لو كان غريبًا بل تصرفت كما لو كان من عادتها المجيء إلى ذلك المكان يوميًا. ولكنه عندما شرع في قص رحلته كلها إلى «فينمارك» والساحر الفنلندي وقارب الأشباح الذي وصل على متنه إلى أرض الوطن ليلًا، لاحظ أنها ابتسمت ابتسامة ذات مغزى وتركته يتحدث. وطوال هذا اليوم ظل يحكي عن رحلته لأخته وإخوانه وأمه حتى

وصل إلى نهايتها؛ فظنوا أنه فقد عقله. وعندما جاء على ذكر قارب الأشباح، تبسموا فيما بينهم، وتجلى من سلوكهم أنهم يستخفون بحديثه. ولكن، ليعتقدوا به ما يشاءون، طالما تركوه ليُنفذ ما يدور بخلده في حظيرة القوارب القديم النائي.

حَدّث «جاك» نفسه قائلًا: «يجب على المرء أن يجاري الأمور.» وإذا كان رأيهم أنه مجنون، فيجب عليه أن يتصرف بشكل يجعلهم يخشون اعتراض طريقه وتعطيل عمله.

وهكّذا، أخذ فراشًا من الجلود إلى حظيرة القوارب، وأمضى ليلته هناك؛ ولكن في الصباح جثم على سارية أعلى السطح، وصرخ بأعلى صوته فيما معناه أنه بصدد الإبحار. وأحيانًا كان يركب مُنفرج الساقين حافة السطح، ويطعن في الأخشاب بخنجره كي يعتقد الناس أنه يتخيل نفسه في عرض البحر مُتشبثًا برافدة قص القارب.

وكلما مَرّ به الناس، كان يقف في المدخل، ويّقلب عينيه بحيث يظهر بياضهما بشكل مُرعب، حتى أن كل من رآه أصابه الهلع. أما بالنسبة لأهله، فاكتفوا بإمداده بسلة اللحم في معتزله حيث القوارب.

كانت أصغر أخواته، «مالفري»، هي التي تحضر له الطعام. وكانت تجلس إلى جواره وتتبادل الحديث معه، وتستمتع بصنعه اللعب لها، وكان يحدثها عن القارب الذي ينطلق كالطير ويبحر كالبرق ولا يضارعه قارب آخر.

وكان «جاك» إذا باغته أحد محاولًا استراق النظر ومعرفة ما يقوم به في حظيرة القوارب، يزحف عاليًا حتى سطح مخزن الأخشاب ويضرب الألواح ويُلقي بها يمينًا ويسارًا كي لا يدري من يسترق السمع أين يجده، فيرحل غير آسف أنه لم يعثر عليه. ولكن عددًا من الناس أسرعوا بتسلق التل مَرّةً أخرى عندما سمعوه وهو يطرح نفسه أرضًا ورنين قهقهته يُدوي عاليًا.

وهكذا جعل «جاك» الناس يتركونه وشأنه.

وكان يُباشر عمله في الليل أفضل من أي وقت آخر عندما كانت العاصفة تزوم بين أحجار وأخشاب سقف حظيرة القوارب المصنوعة من أخشاب ولحاء شجر البتولا، فيرتفع حطام المراكب بفعل العاصفة حتى يصل من البحر وحتى عتبة باب حظيرة القوارب.

وعندما تصاعد أنين الريح من بين شقوق الجدران، وتسربت ندف الثلج من بين التصدعات، تجسد نموذج قارب الأشباح في هيئته الطبيعية دون إضافات أمام عينيه. كانت أيام الشتاء قصيرة، وكان القنديل الزيتي مُعلقًا أعلى رأسه بينما كان يعمل، ويلقي ظلالًا قوية، فقد حل الظلام سريعًا واستمر طويلًا حتى الصباح؛ عندما توجه للنوم في سريره المصنوع من الجلد مُتخذًا كومة من نشارة الخشب وسادة له.

ولم يَدخر «جاك» وسعًا ولا جُهدًا. فإذا وجد لوحًا لم يكن يدخل في الشق المخصص له مع غيره من الألواح، كان يقوم بإخراج صف الألواح كله ويُعيد قياسها مرارًا وتكرارًا ثم ينشرها مرة أخرى مُحاولًا جعلها متساوية. وكان يفعل ذلك في كل مرة على الرغم من أن عدد تلك الألواح لم يكن قليلًا.

وذات ليلة، وقبل أعياد الميلاد بليلة واحدة، كان قد انتهى من كل شيء تقريبًا ماعدا الألواح العليا والتجاويف. وكان «جاك» يعمل بكد كي ينتهي من قاربه سريعًا، حتى أنه لم يشعر بمرور الوقت.

كانت نشارة الأخشاب تتطاير في كل مكان عندما توقف فجأة عند شيء أسود اللون كان يتحرك بطول اللوح الخشبي.

كانت حشرة عملاقة وبشعة المنظر تزحف بالقرب منه وتتحسس كل الألواح الخشبية التي يتكون منها القارب. وعندما بلغت أدنى خشبة بلوح رافدة القص، رفرفت بأجنحتها وطنت، ثم ارتفعت وانطلقت في الهواء حتى انجرفت فجأة بعيدًا وغاصت في الظلام.

خفق قلب «جاك»، وتسلل إليه الشك وطغى عليه شعور بالأسى والحزن. لقد كان على يقين أن حشرة الساحر التي كانت تزوم فوق القارب هكذا لن تأتي بخير أبدًا.

ولذا، أخذ «جاك» القنديل ومضربًا خشبيًا وبدأ يختبر مُقدمة القارب ويضيء ما حول الهيكل الخشبي ويتفحصه بأصابعه جيدًا، ويمر على الألواح الواحد تلو الآخر. وبتلك الطريقة، كان «جاك» قد انتهى من فحص كل جزء في القارب من مقدمته إلى مؤخرته، ومن أعلاه إلى أدناه. ولم يثق «جاك» بمسمار أو «صامولة» بعد اتمام الفحص.

ولكن شكل القارب الآن، لم يرق له، وكذلك أبعاده أيضًا. فقد كانت مُقدمته أكبر من اللازم، وهيكل القارب كله، حتى الحافة العليا لجانب القارب، شَابَه شيء أقرب ما يكون للالتواء والانجراف الجانبي، حتى بدا أشبه بمزيج؛ نصفه من قارب والنصف الثاني من قارب آخر، حتى أن النصف الأمامي لم يكن مُلائمًا للنصف الذي بالخلف. وبينما بدأ يُمعن التفكير في الأمر (وقد شعر بعرقه البارد يتدفق من جذور شعره)، انطفأ القنديل وتركه في الظلام.

ولم يستطع «جاك» أن يتحمل أكثر من ذلك. فرفع مضربه وضرب به باب حظيرة القوارب، والتقط جرس البقر ولوح به يمينًا ويسارًا وقرعه حتى دوى صوته في ظلمة الليل الحالكة.

وفجأة سمع من خلفه صوتًا هادرًا كما الأمواج المتكسرة على الشاطئ مُتزامنًا مع هبَّة من الريح إلى داخل حظيرة القوارب: «هل تَقرع الأجراس من أجلي يا «جاك»؟»

هناك على رافدة القص جلس أحدهم وقد ارتدى سترة بحرية متهرئة رمادية اللون، واعتمر قبعة ذات أحرف مطبوعة تصل إلى ما تحت أذنيه حتى أن جمجمته بدت كما لو كانت شُرابة منخفضة.

فزع جاك فزعًا شديدًا. لقد كان ذلك هو الكائن نفسه الذي كان يفكر فيه أثناء ثورة الغضب التي تمكنت منه. وبعدها، أمسك بعصا ضخمة وألقاها على الشبح.

ولكنها اخترقته، وضربت الجدار وراءه، ثم ارتدت في الاتجاه المعاكس فمرت بجانب أذني جاك بسرعة الصاروخ حتى أنها لو أصابته لأردته قتيلًا.

وما كان من الكائن العجوز إلا أن طرفت عيناه بشيء من الوحشية.

صرخ «جاك» عاليًا: «تبًا لك..»، وبصق على الكائن العجيب، ومَرّة أخرى ارتد بصاقه في وجهه بنفس القوة.

صرخ الصوت الضاحك: «ها قد ارتد بصاقك إليك!»

ولكن في اللحظة نفسها، فتح «جاك» عينيه ورأى مؤسسة كاملة لبناء القوارب على ساحل البحر.

وهناك، تراقص «الأوترينج»[٢٥] على المياه المتلألئة؛ شديد الطول، بديع الشكل، شديد اللمعان؛ حتى أن عيني «جاك» لم تتحملا النظر إليه بالقدر الكافي للاستمتاع به.

أغمض العجوز عينيه وفتحهما بشيء من الرضا. وأخذت عيناه تتوهجان تدريجيًا.

قال العجوز: «إذا كنت أستطيع أن أهديك السبيل إلى «هيلجيلاند»، سأتمكن حينئذ أن أضعك على الطريق القويمة لكسب عيشك. ولكن يجب أن تدفع لي ضريبة إضافية لقاء ذلك. في كل قارب سابع تقوم ببنائه، يجب أن أضع خشبة رافدة القص.»

شعر «جاك» كما لو أنه يختنق. لقد شعر أن القارب يجره إلى براثن الجحيم.

وابتسم الشبح ابتسامه عريضة وهو يقول: «أم تظن أنك ستنتزع مني الحيلة بالحيلة ودون مقابل؟»

وبعد ذلك أَزّ صوت مزعج كما لو كان شيئًا ثقيلًا يحوم حول بيت القوارب، وكانت هناك قهقهة: «إذا كنت تريد قارب الملاح، فيجب أن تأخذ قارب القتيل معك. وإذا ضربت ثلاث

---

٢٥ قارب ثماني المجاديف.

مرات الليلة على رافدة القص بهراوتك، ستنال دعمًا في بناء قوارب لن تجد مثيلًا لها في «نوردلاند» بأسرها.»

رفع «جاك» هراوته مرتين تلك الليلة، وطرحها جانبًا مرتين أيضًا.

ولكن القارب الذي يسع ثمانية أشخاص، استقر في البحر وتراقص على الأمواج أمام عينيه كما رآه بالضبط؛ جديدًا تمامًا بالقار الذي دُهِنَ به والحبال وأدوات الصيد داخله. وأخذ يركل القارب الطويل ويهزه بقدمه كي يرى إلى أي حد يمكن أن يرتفع أعلى الأمواج المتحركة فوق سطح المياه.

ولثلاث مرات ضرب رافدة القص بهراوته.

وهكذا تَمّ بناء أول قارب في «سجوهولم».

تجمع عدد لا حصر له من الناس على اللسان الصخري في فصل الخريف؛ يراقبون «جاك» وأخوته يبحرون في القارب الذي يسع ثمان أشخاص.

تحرك القارب بسلاسة شاقًا التيار القوي حتى صار الزبد أشبه بكرة من الثلج حوله، فتارةً يختفي وتارةً يصعد من بين الأمواج كما لو كان طائرًا من طيور النورس، متجاوزًا الجزر الصخرية والألسنة ومنطلقًا كالسهم.

وفي الخارج، في المناطق المُخصصة للصيد، ترك الصيادون مجاديفهم بأفواه مفغورة؛ فلم تسبق لهم رؤية مثل هذا القارب من قبل قط.

ولكن في السنة الأولى، كان هذا القارب الذي صنعه «جاك» أخف وزنًا وأسرع شقًا للبحر قبل سابقه. ولكن أضخم وأفضل تلك القوارب على الإطلاق كان الأخير الذي استقر عند الصخور على الشاطئ. كان هذا هو القارب السابع.

سار «جاك» جيئةً وذهابًا، وأعمل عقله في الأمر كثيرًا؛ ولكن عندما عاد ليُلقي عليه نظرة في الصباح، بدا له أن القارب كبر حجمه ليلًا، بل وبدا بديع الجمال حتى أن «جاك» أُصيب بالذهول.

استقر القارب هناك أخيرًا، ولم يكل الناس من الحديث عنه.

كان المأمور الذي يحكم «هيجلاند» في تلك الأيام رجلًا ظالمًا فرض ضرائب مُجحفة على الناس؛ حيث استقطع منهم ما يعادل ضعف وزن الأسماك وريش بط العيدر، ولم يكن أقل ظلمًا في استقطاعه من ضريبة العُشر وضرائب الحبوب. وأينما حَلّ أتباعه كانوا يأتون على الأخضر واليابس. وما أن وصلت إلى مسامعه أنباء القوارب الجديدة، أرسل رجاله للتثبت منها، لأنه كان

يخرج للصيد بنفسه بصحبه عدد كبير من الصيادين. وعندما عادَ رجاله وقصوا عليه ما رأوه، انتاب الفضول المأمور بشدة لدرجة أنه أسرع إلى «سجوهولم» مُباشرةً، وهبطَ على «جاك» فجأة ذات يوم كما الصقر، وقال له: «إنك لم تدفع لا ضرائب ولا أعشار على دخلك، ولذلك ستغرم عملات فضية بقدر ما تملك من قوارب.»

وكان الرجل يستشيط غضبًا أكثر وأكثر. فرأى أنه يجب أنِ يوثق «جاك» من يديه ورجليه بقيود من حديد، وينقل شمالاً إلى قلعة «سكرار» حيث يُسجن في مكان لا يرى فيه شمسًا ولا قمرًا.

ولكن عندما تفقد المأمور القارب العشاري المجاديف وتفحصه ورأى كم كان بديع المنظر ومحكم الصنعة، وافق في النهاية على تقديم الرحمة على العدالة، ورضي بأن يستولي على القارب بدلًا من تغريم «جاك».

فما كان من «جاك» إلا أن رفع له قبعته وقال إنه إذا كان هناك رجل يستحق أن يهديه هذا القارب فهو المأمور.

فأخذ المأمور القارب وانطلق به في عرض البحر.

وانتحبت أم «جاك» وأخته وإخوته بشدة على فقدان القارب العشاري المجاديف الجميل. لكن «جاك» وقف على سقف حظيرة القوارب وضحك ملء شدقيه.

وقرب الخريف، انتشرت أنباء عن أن المأمور وطاقمه المكون من ثمانية أفراد قد غرقوا في الزقاق البحري الغربي بقاربهم عشاري المجاديف.

ولكن في تلك الأيام، طرأ تغير جذري على القوارب الموجودة في «نوردلاند» بأسرها، وعجز «جاك» عن بناء القوارب العشرة التي طُلبت منه. فقد احتشد الناس، من كل مكان، خارج جدران حظيرة قواربه. ولكرم أخلاقه قَبِلَ طلبات بناء القوارب ونفذها. وسُرعان ما اصطف عدد كَبير من القوارب وراء السقيفة على الشاطئ.

ولم يعد يكترث بكل قارب «سابع» ولم يعبأ بأيهم ذاك القارب أو ما حدث له. وإذا غرق قارب بين الحين والآخر، فهنالك غيره من القوارب التي تبلي بلاءً حسنًا في عرض البحر. ومِن ثَمّ، يمكن القول إنه إجمالًا قد أبلى بلاءً حسنًا. بالإضافة إلى أنه تأكيدًا قد أصبح للناس أن يختاروا قواربهم ويشترون ما يروقهم أكثر.

ولكن «جاك» اكتسب شهرةً كبيرةً وبسطَ نفوذه بشدة حتى أنه كان من غير المقبول أن يعترض طريقه أحد، أو يتجرأ على منازعته فيما برعَ فيه.

امتلأت البراميل عن آخرها بالدولارات الفضية في السقيفة، وامتدت مؤسسته لبناء القوارب إلى جميع جزر «سجوهولم».

وفي يوم من أيام الآحاد، ذهب أخوته وأخته الصغيرة المرحة «مالفري» إلى الكنيسة في القارب العشاري المجاديف. وعندما حَلّ الليل، ولم يعودوا إلى البيت، عادَ الملاح وقال إنه من الأفضل أن يصحبه أحد للبحث عنهم؛ حيث إن التوقعات تشير إلى هبوب عاصفة هوجاء.

كان «جاك» جالسًا وفي يده أداة للقياس[٢٦] يستعين بها في تقدير مقاسات قارب جديد من المُقرر أن يكون أكبر حجمًا وأكثر هيبة من أي قارب آخر، ولذلك لم يكن من الحكمة أن يقاطعه أحد.

صرخ «جاك» في الملاح قائلًا: «هل تعتقد أنهم أبحروا في حوض عتيق نتن؟» وسرعان ما خرج الملاح بأسرع مما دخل.

ولكن «جاك» استلقى مُستيقظًا طوال الليل وأنصت. فالريح كانت تئن بالخارج ورجت الجدران من حوله، وكانت هناك صرخات مدوية تصدر من ناحية البحر. وحينئذ سمع طرقًا على الباب، وناداه أحدهم.

فصرخ فيه «جاك»: «عُد من حيث أتيت.» وتَقَلّب في فراشه.

وبعدها بفترة قصيرة، سمع أصوات أصابع صغيرة تحك وتتحسس الباب.

٢٦ plumb-line: خيط ينتهي بجسم معدني ثقيل، يُستخدم في القياس سواء لارتفاع رأسي أو لعمق. (المراجع)

صاحَ «جاك»: «ألا يُمكنكم أن تتركوني وشأني بالليل؟ أم يجب أن أبني لنفسي حجرة نوم أُخرى؟»

لكن الطَرق والتحسس بحثًا عن المزلاج بالخارج لم يتوقف. وكان هناك صوت جارف بالخارج كما لو كان صوت شخص يعجز عن فتح الباب. وكان ثمة صوت آخر لأياد تمتد إلى المزلاج وترتفع تدريجيًا.

لكن «جاك» استلقى دون حراك وضحك قائلًا: «القوارب عشارية المجاديف التي تُبنى في «سجوهولم» لا تغرق قبل هبوب أول عاصفة.»

انكسر المزلاج وانفتح الباب على مصراعيه، وعند عتبته وقفت «مالفري» الجميلة وأمها وإخوتها وماء البحر يقطر منهم. وكانت وجوههم شاحبة يميل لونها إلى الزُرقة وأفواههم مسحوبة عند ملتقاها مع وجناتهم وكأنها سكرات الموت. وكان ذراع «مالفري» يابسًا ومُلتفًا حول رقبة أمها. كان ذراعها داميًا مُمزقًا على النحو الذي كان عليه عندما تشبثت بها آخر مَرّةٍ. وبدأت تنوح وتلومه وتتوسل إليه أن يُعيد إليها حياتها.

لقد أدرك الآن ما ألم بهم.

خرجَ «جاك» مُباشرة في ظلمة الليل يبحث عنهم في كل مكان، وسخَّرَ لهذه المهمة أكبر عدد استطاع جمعه من القوارب والبحارة. وأبحروا، وبحثوا في كل مكان ولكن دون طائل.

ولكن في الصباح، عاد القارب عشاري المجاديف مقلوبًا، باتجاه أرض الوطن، وفي رافدة قصه فجوة كبيرة.

وحينئذ عرفَ «جاك» مَن فعل ذلك بالقارب.

ولكن منذ الليلة التي ركبت فيها عائلة «جاك» البحر، لم تعد الأمور كما كانت في «سجوهولم».

في النهار، تسير الأمور على خير ما يرام مادامت أصوات القرع والطرق والتسوية ترن في أذنيه، وتزداد هياكل القوارب الواحد تلو الآخر حتى كأنها طيور البحر في منطقة «أجيفايير»[٢٧].

وما أن انتهت تلك الليلة الليلاء إلا وسمع صوت أمه يجلجل في جنبات البيت وصوت فتحها وغلقها للأدراج والخزانات، وصرير الدرج تحت وقع أقدام إخوته الصاعدين إلى غرف نومهم بالدور العلوي.

في الليل لم يكن «جاك» يستطيع النوم. ومما لا شك فيه أن «مالفري» الجميلة جاءته ووقفت على بابه وتنهدت وتأوهت.

---

٢٧ *Æggevær*: مكان يعج ببيض طيور البحر.

كان يستلقي دون نوم مُفكرًا في عدد القوارب التي صنعها بعيب في رافدة القص وأرسلها بعيبها إلى البحر. وكلما طال حسابه، قَدّر أنه صنع قوارب أشباح أكثر وأكثر. وبعدها كان يغادر سريره ويمشي في ظلمة الليل حتى حظيرة القوارب. وهناك أمسك بمصباح أسفل القوارب وأخذ يضرب عليها ويفحص كل أخشاب روافد القص بهراوته ليتأكد مما إذا كان يستطيع أن يضرب رافدة القص السابعة. ولكنه لم يسمع أو يشعر بأي منها يتراخى تحت ضرباته. كانت كلها صلبة ومتماسكة، وكان الخشب أبيض اللون وغضًا بعد أن أزال ما يغطيه من قار.

وذات ليلة، شعر بانزعاج شديد تجاه القارب السداسي[٢٨] الذي استقر عند النهر على أهبة الاستعداد للانطلاق في الصباح التالي.

ولكن، بينما كان جالسًا في المركب مائلًا باتجاه مقعد المجداف بمصباحه، صدر صوت ازدراد وبلع من البحر، وفاحت رائحة نتنة بشعة. ولحظة أن تناهى إلى مسامعه صوت خوض في المياه كما لو أن مجموعة من الأشخاص يسبحون باتجاه الشاطئ، رأى على اللسان الصخري أفراد طاقم أحد القوارب يخرجون من البحر باتجاهه.

٢٨ قارب بستة مجاديف.

وكانوا جميعًا في حالة مزرية، وكانت أجسادهم مائلة جهة اليمين وأذرعهم منتصبة أمامهم. وكل ما اعترض طريقهم من حجر وعثرة[٢٩] تجاوزوه ولم يصدر عنهم صوت ولا صراخ.

ومن وراءهم جاء طاقم لقارب آخر على متنه راشدون كبار وصغار في الحجم وأطفال تصدر عنهم أصوات قعقعة وصرير.

ووصل طاقم تلو الآخر إلى الشاطئ، وسلكوا الطريق المؤدية إلى اللسان.

وعندما ظهر القمر، استطاع «جاك» أن يخترق ببصره الهياكل العظمية لهؤلاء. وكانت وجوههم متوهجة وأفواههم مفتوحة وأسنانهم برّاقة كما لو كانوا قد تجرعوا كمية كبيرة من الماء. وجاءوا في حشود لا حصر لها؛ الحشد تلو الآخر، حتى لم يعد من موطئ لقدم في المكان.

واستشعر «جاك» أنهم مَن سهر الليالي يُحصيهم عددًا؛ مُستلقيًا في سريره. فاجتاحه شعور غامر بالغضب الشديد. فوقف في قاربه وضرب بحذائه الجلدي وصرخَ قائلًا: «كان من الممكن أن يكون عددكم أكبر مما أنتم عليه لو لم يبني لكم «جاك» القوارب.»

٢٩ كلمة من اللهجة الإنجليزية (ومقابلها في النرويجية هو Staur) وتعني معوقات من أي نوع.

ولكنهم اتجهوا إليه كما الريح الباردة العاصفة مُحدقين فيه بأعينهم الخاوية. وقد صَرّوا بأسنانهم وتنهد كل واحد منهم وأنَّ طلبًا لحياته المفقودة.

وخرجَ «جاك» فزعًا من «سجوهولم».

ولكن الشراع تراخي وسقط في المياه الميتة[٣٠]. وفي وسط المياه الساكنة، كانت هناك كتلة مُتعفنة من الأخشاب الناتئة. كانت جميعها قد تشكلت وتآلفت مع بعضها بعضًا، لكنها الآن ملتوية وقد علق بها الطين والعفن الأخضر والقاذورات.

وتعلقت بها أيادي موتى؛ تعلقت بمفاصلها وبزواياها لكنها لم تستطع أن تتشبث بقوة، فتمددت على صفحة المياه وسرعان ما غرقت في مياه البحر مَرّةً أخرى.

حرر «جاك» كل عُقد قاربه وأبحر طويلًا وانجرف بحسب اتجاه الريح. ثُمّ ألقى نظرة على القاذورات التي تركها خلفه للتأكد ما إذا كانت تلك الأشياء مازالت تطارده. كانت كل الأيادي في عرض البحر تتلوى وحاولت أن تنهال عليه بالخطافات.

وبعدئذ هَبّت ريح لها دوي وتحرك القارب بسرعة بين موجات عاتية وأظلم الجو وازدحم الهواء بنُدف الثلج وازدادت القاذورات من حوله اخضرارًا.

٣٠ Daudvatn (Dan Dödvand) المياه التي ليست بها حركة وتميل إلى السكون.

في النهار، استعان بطيور الغاق[٣١] التي تُحَلِّق بعيدًا في الضباب الرمادي كعلامات يسترشد بها. وبالليل كانت تمرق وتصيح بصوت مفزع يخترق أذنيه.

وظَلّت الطيور تمرق من فوقه باستمرار، وظَلّ «جاك» جالسًا يُحدق في طيور الغاق البشعة.

وفي نهاية المطاف، انقشع ضباب البحر وبدأ الهواء يحتشد بحشرات براقة سوداء طنانة. واشتعلت الشمس، وبعيدًا على اليابسة توهجت السهول الثلجية على ضوئها.

تعرف «جاك» على اللسان والشاطئ اللذين كان قادرًا على الرسو عندهما. وتصاعد الدخان من كوخ هولندي حتى التل المُغطى بالثلج هناك. عند عتبة الباب، كان الساحر الفنلندي جالسًا يرفع قبعته وينزلها بواسطة خيط قوي يخترق جسده حتى أن جلده كان يصدر صوت صرير.

ومما لا شك فيه أن «سايمكي» كانت هناك أيضًا. ولقد بدت عجوزًا ونحيلة وبارزة العظام، وهي منثنية فوق جلد الأيل الذي كانت تبسطه على الأرض في الجو المشمس

---

٣١ Cormorants: الغاق، طائر كبير، ذو أقدام كفِّية، يصطاد السمك بالغوص داخل الماء. وتوجد طيور الغاق في مختلف أنحاء العالم، ويعيش معظمها عند شواطئ البحار، ولكنها كثيرًا ما تُشاهد عند الأنهار الكبيرة والبحيرات. وطيور الغاق تنتمي إلى البجع. ويوجد حوالي ٣٠ نوعًا من هذه الطيور. والأنواع الضخمة منها يبلغ طولها أكثر من ٧٥سم. وتتميز هذه الأصناف من الطيور بمناقير قوية مُدَبَّبة. ومعظم طيور الغاق قوية في الطيران ماهرة في السباحة. (المُراجع)

البديع. ولكنها استرقت النظر من تحت ذراعها بسرعة قطة، وقد سطعت الشمس على رأسها فأضاءت وجهها ولمع شعرها الأسود الفاحم.

قفزت برشاقة متناهية وأظلت عينيها بيديها ونظرت إليه. نبح كلبها؛ ولكنها أسكتته كي لا يلاحظ الساحر الفنلندي أي شيء. وبعدها غمره شعور عجيب بالشوق واللهفة، فأرسى قاربه على الشاطئ.

وقفَ إلى جوارها، فألقت ذراعيها فوق رأسها وأخذت تضحك وتتمايل وتدنو منه وتبكي وتتضرع، ولم تدرِ ما يجب أن تفعله بنفسها، فانحنت فوق صدره، وألقت بنفسها على رقبته، وقَبّلته، وتحسسته، ولم تتركه.

لكن الساحر الفنلندي لاحظ أن هناك خطبًا ما، فجلس طوال اليوم دون أن يخلع فراءه، وأخذ يتمتم إلى النحل الطنان، حتى أن «جاك» لم يجرؤ على المرور من أمام الباب.

كان الفنلندي غاضبًا.

فمنذ أن طرأ التغير الجذري على كل قوارب «نوردلاند»، أصبحت رياحه بضاعة غير مطلوبة، وأخذ يشكو من الخسارة الجسيمة التي تكبدها. أصبح الآن مدفعًا لدرجة أنه سيضطر عاجلًا أو آجلًا إلى أن يخرج ويستجدي الناس.

ومن بين أيائله كلها لم يبق لديه سوى أنثى واحدة كانت ترعى بجوار البيت.

زحفت «سايمكي» خلف «جاك» وهمست له أن يزايد على أنثى الأيل تلك. وبعدها وضعت جلد الأيل حولها ووقفت داخل باب الكوخ في وسط الدخان لدرجة أن الساحر الفنلندي لم ير سوى الجلد الرمادي وظَنّ أنه الأيل الذي كانوا بصدد المزايدة عليه.

وبعدها وضع «جاك» يده على عنق «سايمكي» وشرع في المزايدة.

انحنى صاحب القُبعة البارزة وأومأ برأسه، وبصَق العجوز الفنلندي في الهواء الدافئ، ولكنه لم يستطع أن يبيع أيله.

وزادَ «جاك» السعر الذي عرضه.

لكن الفنلندي رفع الرماد من حوله وهدد وتوعد وصرخ فتجمع النحل في حشود حوله كما نُدف الثلج حتى أن أغطية الفنلندي المصنوعة من الفرو أصبحت ممتلئة به.

وظَلّ «جاك» يُزايد ويُزايد حتى شَكّلت أمواله من الفضة كومة ضخمة، وصعق الفنلندي أمام هذا السخاء ثم غطى رأسه بفرائه مجددًا، وتمتم وهذي حتى صارت العملات الفضية سبعة مكاييل.

قهقه الساحر الفنلندي حتى كاد يفقد وعيه. فقد ظَنّ أن الأيل سيكلف المشتري أموالاً طائلة.

لكن «جاك» حمل «سايمكي» وانطلق بها إلى قاربه وقد أمسك بجلد الأيل وراءه قبالة الساحر الفنلندي. وانطلقا بعيدًا عن اليابسة، إلى أعالي البحار.

كانت «سايمكي» في غاية السعادة؛ تُصفق كطفلة صغيرة، وتبادلت هي و«جاك» التجديف.

فاضت أنوار الشمال بلونها الأحمر الناري المائل للاخضرار وداعبت وجهها، فخاطبتها، وقاتلتها بيديها ولمعت عيناها. واستخدمت لسانها وفمها وتلميحاتها السريعة بينما تبادلت أطراف الحديث معها.

وبعدها أسدل الليل ستاره، فرقدت على صدره حتى شعر بأنفاسها الدافئة. واستقر شعرها الأسود عليه مباشرة، وكان ملمسها ناعمًا ودافئًا كطائر التارميجان[٣٢] إذ يصيبه الفزع وتتسارع نبضات قلبه.

وضع «جاك» جلد الأيل على «سايمكي» ومال بهما القارب ذات اليمين وذات الشمال على صفحة البحر العميق كما لو كان فراشهما.

أبحرا طويلًا حتى أظلمت الدنيا من حولهما، وغابت عن الأفق كل الألسنة والجزر وطيور البحار في الجزر الصخرية الصغيرة.

٣٢ Ptarmigan: التارميجان، طائر يشبه الحمام ويعيش في المناطق القطبية. (المراجع)

وطأة الحرب



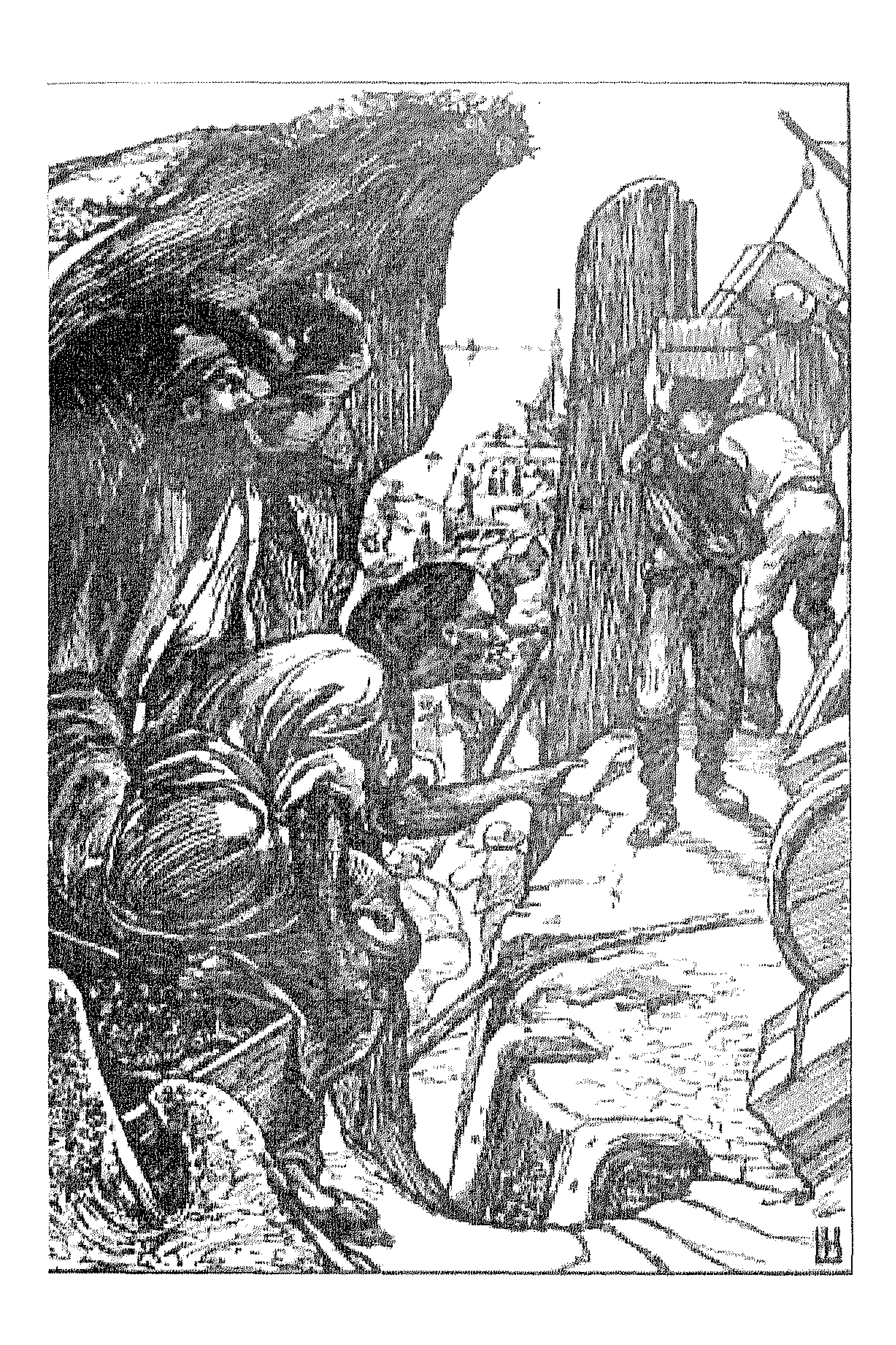
كان الجو رائعًا في اليومين أو الثلاثة أيام الأخيرة، ولكن في اليوم الثالث بدا اليوم صافيًا جدًا؛ حتى أن واحدًا من الصيادين في محطة الصيد ظَنّ أنهم يستطيعون سحب شباك الصيد بشكل أكبر ذاك اليوم. ولكن الآخرين لم تكن لديهم رغبة في المخاطرة.

وكان العُرف يقضي بأن تعاون فرق الصيد بعضها بعضًا في دفع القوارب، وهذا ما يحدث الآن. ولكن، عندما وصلوا إلى القارب الضخم ذي المجاديف العشرة، والذي كان مسحوبًا إلى الشاطئ، وجدوا المجاديف والدعامة رأسًا على عقب في القارب. وعلى الرغم من أنهم بذلوا جهدًا كبيرًا كي يحركوا القارب من مكانه؛ إلا أنهم لم ينجحوا في زحزحته قيد أنملة. حاولوا مرة ومرتين وثلاث مرات، ولكن دون جدوى. بعدها، قال أحدهم، وكان يتمتع بالبصيرة، إنه يرى من الأفضل ألا يمسوا القارب في يومهم هذا، حيث كان أثقل من قدرة البشر على حمله. ولكن أحد أفراد الطاقم من محطة الصيد وكان صبيًا بارعًا في الرابعة عشرة من عمره) كان يُسري عنهم طوال الوقت بكل ما يلقيه عليهم من نكات يعرفها.

أمسك هذا الصبى حجرًا ثقيلًا وألقى به بكل قوته على مؤخرة المركب. وفجأة وعلى مرأى منهم جميعًا خرج من القارب شبح في رداء صياد. ولكن بدلًا من رأسه كان جسمه يزدان بكومة ثقيلة من طحالب البحر. وكان يرجح كفة القارب بجلوسه على مؤخرته. وانطلق مخترقًا ماء البحر حتى تناثر الزبد وغطى الصيادين. بعدها، تحرك القارب بسلاسة شديدة جهة البحر. نظر الرجل صاحب البصيرة إلى الفتى وقال له: لم يكن عليك القيام بذلك. لكن الفتى قهقه كعادته، وقال إنه لا يؤمن بتلك الأشياء. وعندما عادوا إلى بيوتهم في المساء، وخلد الجميع إلى النوم في مركز الصيد، سمعوا الفتي يستغيث صارخًا، ولقد بدا لأحدهم على ضوء المصباح الزيتي كما لو أن يدًا ثقيلة تمتد إلى الأمام من خلال الباب وحتى المقعد الذي كان الفتى يجلس عليه، لتسحب الفتى حتى الباب؛ وهو يصرخ ويقاوم قبل أن يفيق الآخرون من ذهولهم ويفكروا في الإمساك به من خصره لمنعه من أن يجر إلى الخارج. والآن، وفي منتصف المسافة تحديدًا، اندلعت معركة شرسة، حيث كان الشبح يسحبه من رجليه، بينما يشده الطاقم بأكمله من ذراعيه وأطرافه العليا. وتأرجح الصبي بينهما جيئةً وذهابًا طول منتصف الليل للأمام وللخلف عند

الباب الموارب وسط صراخه وأنينه. تارةً يفوز الشبح بأكبر نصيب منه، وتارة يجذب الرجال أغلب جسمه إليهم. وفجأة حرره الشبح حتى أن الطاقم بأكمله سقط إلى الخلف كقطع الدومينو على الأرض. وبعدها اكتشفوا أن الصبي مات؛ وعندها فقط تركه الشبح.

الأرض تقترب



كان هناك بائع شاب يعمل لدى صاحب محل بمدينة «سورفاج». وكان أزرق العينين، وشعره مجعد فاتح اللون. اتصف بالذكاء وسرعة البديهة، وحاز قدرًا كبيرًا من الوسامة حتى أن جميع فتيات المدينة أخذن فى التردد على الدكان عمدًا لرؤيته. وعلاوة على ذلك فلقد كان بارعًا فى كل عمل يؤديه، حتى أن صاحب الدكان لم يكن ليُفرط فيه.

وحدثَ أنه ذات يوم توجه إلى محطة صيد لأجل رئيسه في العمل، وكان التيار ضعيفًا جدًا، فأبحر قريبًا من الشاطئ.

لكنه فجأةً أبصرَ حلقةً صغيرةً في الجدار الصخري عند مستوى أعلى قليلًا من علامة مستوى مياه أعالي البحر. وظَنّ أنها من تلك الحلقات التي تُستخدم لربط القوارب، وتصور أنه لن يضيره أن يستريح لبرهة؛ ويرقد على الشاطئ؛ ويتناول وجبة سريعة حيث إنه كان يجدف منذ الصباح الباكر.

ولكنه عندما حاول الإمساك بالحلقة ليمرر حبل القارب من خلالها، إذا بها تضيق حول أصبعه لتحيطه بإحكام

شديد. شدها. وبقوة اندفع من جانب الجبل درج ضخم ممتلئ بالأوشحة الحريرية والحُلي النسائية مُبهرجة.

اندهش الشاب، وفَكّرَ مليًا في الأمر.

وبعدها رأى ما بدا له أنه رقائق حديدية صدئة مصطفة أعلى جانب الجبل بأكمله. ولاحظ أنها تشبه تمامًا فتحة الدرج نفسه.

لقد صارت الحلقة في أصبعه الآن، وكان عليه أن يفتح بقية تلك الأدراج أيضًا. فسحب درجًا تلو الآخر، وكانت كلها ممتلئة بأساور من الذهب والفضة واللآلئ والزجاج، ودبابيس للزينة وقبعات مزدانة بأشرطة، وغزل قطني، وقبعات ليلية، وسراويل من الصوف، وبن وسكر، وعملات فضية وغلايين تدخين التبغ، وأزرار وخطافات وسكاكين وفئوس ومناجل.

وسحب درجًا تلو الآخر؛ وكانت الأشياء التي تحويها تلك الأدراج متنوعة بشكل يستحيل حصره.

ولكنه فجأةً سمع حوله همهمة لحشد كبير من الناس، وقد ارتفع صوت وقع أقدامهم بأحذيتهم البحرية. وكانوا يحدثون صخبًا هائلًا كما لو كانوا يُدحرجون براميل على الجسر، ويرفعون أشرعة في مواجهة الريح، وتناهى إلى سمعه من ناحية البحر صوت ضربات المجاديف على سطح المياه، وارتطام القوارب بشاطئ البحر وهي ترسو.

وبعدها أدركَ أنه أرسى قاربه في مرسى لمجموعة من اللصوص، وأنه وضع قاربه فوق المكان حيث يُنزلون بضاعتهم. وكان قد وقف يُحَدِّق إلى درج يحتوى على غلايين مرشومية[٣٣]. وكانت أجمل من كل الغلايين التي رآها في عالمه. غير أنه شعر بدفعة قوية من يد ثقيلة حاولت إقصاءه بعيدًا. وفي الوقت نفسه تناهت إلى سمعه قهقهة أحدهم على مقربة منه. وفي اللحظة نفسها، رأى فتاة تقف عند مقدمة قاربه. وكانت تستند بمنكبيها العريضين وذراعيها المشعرين على كيس من أكياس الطعام. وفي عينيها ضحكة وكذلك تطايرت منهما شرارات كتلك التي تتطاير من دكان الحداد في الظلام، على الرغم من أن وجهها كان شاحبًا بشكل عجيب.

وبعدها اختفت تمامًا كما الأشباح.

شعر الفتى بالسعادة عندما استقر في قاربه مُجددًا ودفعه بعيدًا عن الشاطئ وأبحر ثانية.

ولكن عندما خرج إلى اللسان البحري، أبطأ قليلًا وقد انتبه إلى أن الحلقة مازالت حول أصبعه.

---

٣٣ مرشوم meerschaum: أملاح معدنية بيضاء أو رمادية أو ذات لون كريمي ناعمة، ويوجد أحيانًا طافيًا على سطح مياه البحر الأسود، ويطلق عليه زبد البحر. ويتوفر بكميات كبيرة في المنطقية بين إسطنبول وأنقرة في تركيا. (المراجع)

في البداية تراءى له أن ينزعها ويُلقي بها في البحر، ولكنها أصبحت أكثر إحكامًا من ذي قبل.

لقد كانت تلك الحلقة مطروقة ومنقوشة ومحفورة بشكل يدعو للفضول والتأمل، فرأى أنه لا مفر من فحصها بعناية أكبر؛ وكلما أمعن النظر فيها، بدا له الذهب الذي طُرقت منه أكثر لمعانًا وبريقًا. ومهما قَلّبها ذات اليمين وذات الشمال لفحص الحلزونات المرسومة عليها، عجزَ عن استيعاب مبتداها ومنتهاها.

ولكن، بينما جلس هنالك وظَلّ ينظر إليها، برزت العينان اللامعتان لذلك الوجه الشاحب أمام عينيه أكثر وأكثر. ولم يدر·أكانت دميمة أم جميلة حقًا، تلك المخلوقة العجيبة!

واستقر رأيه على أن يحتفظ بالحلقة مهما كلفه الأمر.

ولكن منذ ذلك اليوم، أصبح ينتابه اضطراب عجيب. فعندما يكنس المحل أو يزن البضاعة، كان يقف فجأةً عند المكتب بُني اللون ويتخيل أنه انتقل على حين غِرة إلى المرسى الواقع جوار الجبل، والمرأة السوداء تسخر منه وهي تتكئ على كيس الطعام.

قرر أن عليه الذهاب إلى تلك البُقعة مَرّة أُخرى، وأن يختبر حلقته ولو كلفه ذلك حياته.

وفي فصل الصيف، استقر قاريه عند جانب الجبل، في نفس البقعة حيث رسا من قبل. وعندما فتح الدرج بحلقته الذهبية، لمح المرأة عريضة المنكبين. وكانت عيناها تلمعان ببريق وحدّقته بشراسة وفضول.

وفي كل مرة جاء فيها، بدا أن مجيئه مرتقب أكثر. وبدت هي أكثر ابتهاجًا بمجيئه. وسُرعان ما صارا رفيقين حميمين. وكانت تنتظره دائمًا في نفس المكان.

في بيته، أصبح يشعر بالاكتئاب والوحشة، وخَيّمَ الصمت عليه. ورغم كل ذلك، فلقد اعتقد أن كل ما يحدث محض سحر وشعوذة، وأن ذراعيها كانا مشعرين كذراعي وحش بري. وعلى الرغم من أنه عزم أمره على الابتعاد عنها تمامًا، وحاول ذلك فعلًا، فلم يقو على البعد. وكلما غاب عنها لأسبوع بأكمله، صارت أصعب مراسًا، وتعالت ضحكاتها وصرخت كلما رأته قادمًا مُجددًا.

ودائمًا كان يسمع ضوضاء وجلبة صادرة عن عدد كبير من الناس حوله، لكنه لم يكن يرى شيئًا مطلقًا. ولقد بدا له أنهم كانوا يتجنبونه بعض الشيء، ويُبعدون قواربهم جانبًا كي يستطيع المرور من بينهم. وأيضًا كان قاريه ينعم دائمًا بالتوازن وانضباط وتناغم المجاديف والأشرعة. وكان الحبل يُشَد ويُثبت له كلما جاء، ويُلقى له كلما ذهب.

وبين الحين والآخر لاحظت أنه كان يُلقى نظرة على مخازنهم ورُدهاتهم المضيئة في جانب الجبل، وفي تلك الأوقات كان من الواضح أنها تغريه بأن يتبعها. وفي طريقه إلى البيت، كان يرجف ويُحَدِّث نفسه قائلًا: «ماذا لو أن جدران الجبل كانت تُغلق خلفه؟» وكان في كل مرة يشعر بالسعادة أنه توخى الحذر حتى الآن، وخرج آمنًا وسالمًا.

والآن، ومع اقتراب الخريف، صار أكثر سكينة وسلامًا مع النفس. وعزم أمره على محاولة التوقف عن تلك الرحلات. وبدأ جهوده على الفور، وانخرط في عمله بحماس شديد، حتى أنه لم يكن لديه وقت للتفكير في أي شيء.

ولكن عندما اقتربت أعياد الميلاد بثلجها وظلامها، عاودته تلك الخيالات العجيبة.

ومتى كان في الزوايا والأركان المظلمة، كان يرى جسد المرأة القوي البنية أمامه. وكانت تضحك وتصرخ فيه وتدعوه إليها، وتبعث إليه برسائل عبر الريح. وبعدها انتابته رغبة عارمة في رؤيتها.

وعندما لم يستطع أن يصمد أكثر من ذلك، انطلق إليها ذات يوم، وظَنّ أنه لمحها على مسافة بعيدة. وكانت تُزيح الصخور الضخمة كي ترى طريق القارب وتتبع مساره،

وأخذت تشير إليه وتحييه عبر الرذاذ والضباب، وبدا كما لو أن التيار يحمله إلى هناك طوال الوقت.

وعندما صعدَ، هاجَ البحر وماجَ بسبب الحشود التي تجمعت فيه؛ ولو أنه لم ير أيًا منهم. فقد خاضوا في البحر وصولاً إليه وشَدوا قاربه حتى الشاطئ، وكان هناك دَرَج وجسر جاهزين له كي يطأهما بقدميه. وكانت واقفةً على القمة وأنفاسها ثقيلة ومالت تجاهه وجذبته إليها بعينيها الجريئتين الباديتين في وجهها شاحبتان شحوب الليل. وأسرعت داخل اليابسة، ونظرت خلفها وأشارت إليه أن يتبعها؛ وبعدها فتحت باب خزانة حديدية قديمة في وسط الجدار.

وعلى رفوفها لمع تاج زفاف وحزام ساطع ودرع للصدر وسُترة، وغير ذلك من حُلي الزفاف.

هناك، وقَفَت وجاءت أنفاسها ملتهبة وثقيلة عبر أسنانها البيضاء، وابتسمت وحَدّقته بغرور. شَعُرَ بها تستحوذ عليه كما لو أن ظلمةً أحاطت به.

وفجأة، في ضوء الشفق رأى السوق كله بمنظره البديع، والذي كان غنيًا بالبضائع. وكان ذلك السوق يحيط به من كل مكان؛ بمرفئه ومخازنه وسفنه التجارية. مدت يديها بإشارة؛ كما لو كانت تود أن تقول له إن يجب أن يكون مالك وسيد كل ذلك.

سرت في جسده قشعريرة باردة، فلقد اكتشف أن الطريق تُفضي مُباشرة إلى الجبل.

انطلق خارجًا من المكان، وقطع الحبل بسكينه وانتزع الحلقة من أصبعه، وألقى بها في البحر وجَدّف بعيدًا حتى صار البحر أشبه بكتلة ضخمة من الزبد حوله.

عندما وصل إلى بيته لمباشرة عمله، وكانت جلبة موسم الكريسماس قد بدأت، شعر وكأنه استيقظ من كابوس بشع أو حلم كئيب، وانتابه إحساس بالارتياح والسكينة. وتبادل أطراف الحديث بمرح مع زبائنه، وعادت حياته الماضية إلى ما كانت عليه تمامًا. وكان كل شيء يضع يده عليه يُنجَز بسلاسة مُتناهية.

ولكن ابنة التاجر دفعت برأسها داخل الدكان مرات، وتأملته بنظرها وابتسمت له بإعجاب مشوب بالخجل. ولم يكن الفتى قد لاحظ من قبل جاذبيتها، أو كم كانت نحيفة وفطنة، وكم بدت رشيقة وانسيابية في حركاتها ولفتاتها وهي واقفة عند عتبة الباب. ومنذ أن نظرت ابنة التاجر إليه تلك النظرة الغريبة، لم يعد يشغل باله سواها. وظَلّ يُفكر كيف كانت تحيط رأسها بيديها، وكم كانت نَحيفة وهي تمشي، وكم كانت عيناها الزرقاوان الجميلتان السريعتان تُشبهان النجوم المتلألئة.

كان يسهر الليل بطوله مُتفكرًا في خطيئته البشعة وقد تدنى إلى مستوى وحش عجيب، وشعر بالسعادة الطاغية عندما ألقى بالحلقة بعيدًا.

ولكن في ليلة عيد الميلاد، وعند إغلاق الدكان، وعندما كان أهل البيت والخدم عاكفين على الاستعداد للاحتفال في المطبخ والدكان، اصطحبه صاحب الدكان إلى مكتب الحسابات الخاص به، وقال له إذا كان مُعجبًا بابنته، فلا بأس من أن يراها، وليتحل بالشجاعة ويخطب ودها لأنه لم يخف عليه كم كانت تهيم به حبًا، وأضاف صاحب الدكان أنه قد تقدم في العمر، ويرغب في التقاعد.

ولم يكد البائع الشاب يسمع من صاحب الدكان أنه يطلب منه التودد إلى ابنته، حتى شرع في ذلك على الفور، وقبل وضع طعام أعياد الميلاد على المائدة، كان قد حصل على موافقتها.

ومرت سنين وسنين وعمهما الرخاء والثراء، ورُزقا أطفالًا جميلون وأذكياء، وسعد الشاب بزوجته؛ فلم يكن يجد ما يكفي لمكافأتها على ما تتحلى به من عفاف ولطف، سواء بالبيت أو خارجه.

ولكن في العام السابع، ومع اقتراب أعياد الميلاد، انتابه شعور عجيب بالاضطراب، وهامَ على وجهه وحده دون صاحب أو رفيق، ولم يستطع أن يجد السلام النفسي في أي مكان.

وانزعجت زوجته وشعرت بالأسى تجاه ما ألمّ به. ولم تعرف ما أصابه، وبدا لها أنه كان يتجنبها بطريقةٍ غريبةٍ. كان يهيم على وجهه لساعات في المخزن بين الصناديق والبراميل، ولم يكن راغبًا في أن يأتيه أحد حيث كان.

وصادفَ في اليوم السابق لليلة الكريسماس أن أحد العمال توجه للمخزن لاحضار غرض ما، فوجدَ هناك سيده وقد وقف مُستغرقًا في التفكير بجانب كيس من أكياس الطعام؛ مُحَدِّقًا في الأرض أمامه.

فسأل العامل: «ألا ترى الحلقة المعدنية الموجودة على الأرض؟»

لكن الرجلَ لم يرَ أي حلقة.

تنهدَ بقوةٍ وقالَ: «إنني أراها هناك، فالأرض تتحرك.»

وفي ليلة عيد الميلاد، لم يكن له أثر تمامًا ولا في اليوم التالي، فبحثوا عنه في الأعالي وفي المنخفضات، واستفسروا عنه في كل بقعة وسط صخب أعياد الميلاد.

ولكن في وقت متأخر من ليلة عيد الميلاد؛ وقد كان الجميع في كل مكان بحالةٍ من التوتر الشديد، لا يعرفون ما إذا كان ينبغي عليهم تجهيز مائدة الطعام أم لا، عبرَ الشاب فجأةً من الباب. وكان يتوق بشدةٍ إلى تناول اللحم واحتساء مشروب،

وكـان مُـفـعـمًـا بـالـسـعـادة والمرح طـوال الـلـيـل حـتـى أنـهـم جـمـيـعًـا نـسـوا مـا كـانـوا فـيـه مـن ذُعـرٍ وفـزع.

وطـوال عـام كـامـل بـعـد تـلـك الأحـداث، عـادَ اجـتـمـاعـيًـا كـمـا كـان يـتـبـاهـى بـزوجـتـه كـثـيرًا إلى حـد الـسـخـافـة. فـحـمـلـهـا بـين يـديـه، إذا جـاز الـتـعـبـير ، وبـذل قـصـارى جـهـده مـن أجـلـهـا. ولـكـن عـنـدمـا اقـتـرب مـوعـد عـيـد المـيـلاد مَـرّةً أخـرى، وشـارفـت أكـثـر الأوقـات ظـلـمـة في الـعـام عـلـى الـقـدوم، عـاوده نـفـس الاضـطـراب والأرق. وبـدا لـهـم أنـهـم يـرون شـبـحـه بـيـنـهـم، فـلـقـد عـاد لـلـتـجـوال في المـخـزن مَـرّةً أخـرى حـيـث أطـالَ الـبـقـاء هـنـاك.

وتـكـرر الـشـيء نـفـسـه في لـيـلـة عـيـد المـيـلاد .... واخـتـفـى.

وجـابـت زوجـتـه وأهـل الـبـيـت كـل مـكـان في فـزع، وقـد سـيـطـر عـلـيـهـم ذهـول وقـلـق.

وفي لـيـلـة عـيـد المـيـلاد، دخـل الحـجـرة مَـرّةً أُخـرى، وكـان سـعـيـدًا ومـرحًـا كـعـادتـه. ولـكـن، عـنـدمـا انـطـفـأت الأضـواء وخـلـد الجـمـيـع إلى الـنـوم، لم تـسـتـطـع زوجـتـه أن تمـنـع نـفـسـهـا وانـهـمـرت دمـوعـهـا وتـوسـلـت إلـيـه أن يخـبرهـا أيـن كـان.

دفـعـهـا بـعـيـدًا عـنـه بـشـراسـة وأطـلـت مـن عـيـنـيـه شـرارات كـمـا لـو كـان قـد فـقـدَ عـقـلـه. وطـلـب مـنـهـا إذا كـانـت حـريـصـة عـلـى سـعـادتـه ألا تـسـألـه عـن ذلـك الأمـر مُـجـددًا.

ومَـرّ الـزمـن وتـكـررت الأحـداث عـامًـا بـعـد عـام.

وكلما اقتربت أعياد الميلاد، كان يهيم على وجهه ويستغرق في تفكير عميق كئيب ويلزم الصمت، وبدا مُصرًا على الانعزال عن الناس. وفي ليلة عيد الميلاد، كان يختفي دائمًا، رغم أن أحدًا لم يره وهو يرحل. وبمنتهى الانضباط في ليلة عيد الميلاد، وأثناء تجهيزهم الطاولة، دخل من الباب مُباشرة سعيدًا وراضيًا عنهم جميعًا.

ولكن قبل كل خريف وقرب بداية أيام الأعياد، وفي وقت مبكر دائمًا عن العام السابق، كان نفس الاضطراب ينتابه ليستغرق في تفكير عميق كئيب ويعانى تقلبات مزاجية ويُصبح أكثر تحاشيًا للناس من ذي قبل.

ولم تشكك زوجته فيه قط؛ ولكنها شعرت بعظيم الأسى على حاله، وبدا لها أن حزنها يزداد قسوةً وقهرًا، فهي لم تعد قادرة على رعاية زوجها، كما أنه لم يعد ينتمي إليها.

وبعد مرور عام، ومع اقتراب أعياد الميلاد، أخذَ الشاب يهيم على وجهه كعادته كئيبًا مُعتزلًا. وفي اليوم السابق لليلة عيد الميلاد، اصطحب زوجته إلى المخزن.

وسألها: «هل ترين أي شيء هناك بالقرب من كيس الطعام؟»

لكنها لم ترَ شيئًا.

فأمسكَ بيدها وتوسل إليها أن تظلّ بجواره، وأن تذهب معه ليلًا. ولما كانت زوجته عزيزة عليه، قال لها إنه سيحاول أن يبقى بالبيت ذلك اليوم.

وطوال الليل كان يتشبث بيدها بقوة مَرّةً تلو الأُخرى ويتنهد ويئن. وشعرت زوجته أنه يتشبث بها بقوة، ويحاول جاهدًا بكل ما لديه من قوة أن يقاوم شيئًا ما.

وفي الصباح، كان كل شيء قد انتهى. وصارَ الشاب أكثر سعادةً ومرحًا مما رأته زوجته منذ فترة طويلة جدًا. وبقى الشاب في بيته.

وفي ليلة عيد الميلاد من ذلك العام، صدرت أصوات شد وسحب وأصوات أشياء تُحمل لأعلى من المتجر والمخزن، وأضاءت الشموع حتى تألقت إفريزات النوافذ مَرّةً أخرى. لقد كان ذلك أول احتفال يقضيه في بيته على حد قوله. ولقد اعتزم أن يُقيم وليمة كبيرة في ذلك اليوم.

ولكن عندما دخل أهل البيت الواحد تلو الآخر كما هي العادة؛ وشربوا نخب سيدهم وسيدتهم، ازداد وجهه شحوبًا شيئًا فشيئًا كما لو أن دماءه تُسحب منه.

صرخَ الشاب قائلًا: «الأرض تقترب!» وبدت في عينيه نظرة رعب.

بعدها مباشرة جلس مكانه ... ميتًا!

طيور الغاق من «أندفايير»



هناك جزيرة خارج مدينة «آندفايير»؛ تعتبر مقرًا للطيور البرية، ويتعذر على البشر الاستقرار عليها، حيث إن البحر لا تهدأ ثورته قط، فتحيط بها الأمواج العالية التي تتخللها دوامات مهلكة وموجات متكسرة كاسحة.

وفى أحد أيام الصيف الصافية، ظهر شيء يتلألأ بين زبد الأمواج أشبه بخاتم كبير من الذهب، وظنّه الناس كنزًا تركته جماعة من القراصنة منذ زمن بعيد.

ومع غروب الشمس، تلوح من هناك أحيانًا سفينة في مؤخرتها قصر مشيد، ويلمح الناس بين الحين والآخر مركبًا بمجاديف؛ عتيق الطراز، وتقبع السفينة هناك كما لو كانت في خِضم عاصفةٍ قوية تشق طريقها عبر أمواج بيضاء شاهقة.

وبامتداد الصخور استقرت طيور الغاق في صف أسود طويل؛ تترقب «كلب البحر»[٣٤].

وفى وقت من الأوقات، كان الناس يعرفون عدد تلك الطيور

٣٤ Dog-fish: كلب البحر.. كلب السمك. سمك وثيق الصلة بالقرش يكثر في مياه المناطق المعتدلة والمناطق الاستوائية. أنواعه كثيرة أشهرها كلب البحر الشائك، ويرجع اسمه إلى تشابه رءوسها مع رءوس الكلاب. (المراجع)

تحديدًا، الذي لم يزد أو يقل قط عن اثني عشر طائرًا، بينما استقر الطائر الثالث عشر على إحدى الصخور في وسط البحر، لكن أحدًا لم يره إلا في أقلاعه وتحليقه فوق الجزيرة.

ولم يقطن بالقرب من الـ«فاير»[٣٥] وقت الشتاء، وبعد انتهاء موسم الصيد بفترة طويلة، غير امرأة وفتاة صغيرة. وكانت مهمتهما حراسة أعمدة السقالات التي تُستخدم لتجفيف الأسماك بعيدًا عن الطيور الجارحة التي كانت تلجأ إلى حيل خبيثة للاستيلاء على حبال التجفيف.

وكان للفتاة الصغيرة شعر كثيف فاحم السواد، وعينان ثاقبتان تتابع بهما الناس بنظرات غريبة جدًا، حتى أن البعض شبهها بطيور الغاق القابعة هناك، والتي لم تر شيئًا سواها طوال حياتها. ولم يعرف أحد لهذه الفتاة أبًا.

هكذا كانت حياتهما حتى نضجت الفتاة وشبت عن الطوق.

وقد لوحظ أنه خلال فصل الصيف، عندما يتوجه الصيادون إلى مركز الصيد لجلب الأسماك المجففة، يشرع الشباب في عرض أسعار أقل فيما بينهم ليقع عليهم الاختيار للاضطلاع بهذه المهمة الخاصة، ويتنازل البعض عن حصته من الأرباح بينما يتنازل البعض الآخر عن أجوره. وكانت هناك شكوى عامة في جميع القرى من أنه في تلك الأوقات لم تتوقف زيارات طلب الخطبة.

---

[٣٥] Vær: مركز من مراكز الصيد حيث يجتمع الصيادون بين الحين والآخر.

وكان السبب وراء كل ذلك الفتاة ذات العينين الغريبتين.

فعلى الرغم مما كان يشوب أخلاقها من خشونة وقسوة، على حد قول الذين تبادلوا أطراف الحديث معها، فهناك جاذبية عجيبة تُشع منها لم يستطع أحد أن يقاومها. ومالت إليها قلوب كل الشباب حتى بدا أن أحدًا منهم لم يقو على العيش دونها.

في فصل الشتاء الأول، خطبَ ودها فتى يملك بيتًا ومخزنًا خاصًا.

وقالت له: «إذا عدت مَرّةً أُخرى في فصل الصيف وأحضرت لي الخاتم الذهبي المناسب لأزَف به، فربما جاء ذلك بنتيجة.»

عادَ الفتى في الصيف التالي بلا شك، فقد كان عليه أن يجلب كميات هائلة من الأسماك، فربما استطاع أن يجلب لها خاتمًا ذهبيًا يضارع ما يتمناه قلبها حجمًا وجمالاً.

غير أنها قالت له: «إن الخاتم الذي أريده يستقر بين الحطام في صندوق حديدي في الجزيرة الكائنة هناك. هذا إن كُنت تحبني بما يكفي للمغامرة بجلبه لي.»

ولكن الفتى امتقعَ لونه.

فقد رأى الجزء المنخفض من البحر يرتفع ويهبط كما لو كان جدارًا مائيًا أبيض اللون من الزبد على إشراقة ذلك النهار الصيفي الصافي الدافئ، وعلى الجزيرة كانت طيور الغاق تنعم بنوم عميق في ضوء الشمس.

قال لها: «إنني أحبك حُبًا جَمًا، لكن طلبك هذا فيه هلاكي لا زواجي.»

وفي اللحظة نفسها، صعد طائر الغاق الثالث عشر من صخرته وتوارى وراء الزبد الضبابي، وحَلّقَ أعلى الجزيرة مباشرة.

في الشتاء التالي، جاء قائد دَفة إحدى السفن يخطب ود الفتاة. لعامين كاملين ظَلّ يتردد عليها ويكتم حزنه في صدره حَسرةً عليها، ولكنها أجابته الإجابة نفسها حيث قالت: «إذا عدت في فصل الصيف، وجلبت لي الخاتم الذهبي الصحيح الذي سأزف به، فربما جاء ذلك بنتيجة.»

وخرج من فوره إلى محطة الصيد ذات يوم من أيام مُنتصف الصيف.

ولكن عندما عرف المكان الذي يوجد فيه الخاتم الذهبي، جلسَ على الأرض وبكى طوال اليوم وحتى المساء عندما بدأت الشمس في الغروب باتجاه الشمال الغربي وتتوارى وراء البحر.

وبعدها ارتفع طائر الغاق الثالث عشر وحلق فوق الجزيرة مباشرة.

وخلال فصل الشتاء الثالث، تدهورت الأحوال الجوية جدًا، وتحطمت العديد من السفن. وعلى العارضة الرئيسة لقارب شق طريقه إلى الشاطئ، تشبث فتى مُنهك القوى بحزام سكينه. ومهما قلبوه ذات اليمين وذات الشمال في مرفأ القوارب، لم ترجع إليه روحه التي فارقته.

جاءت الفتاة، وقالت: «هذا عريسي!.»

وضمته إلى صدرها، وجلست إلى جواره طوال الليل، وأدخلت على قلبه الدفء.

وعندما أشرقت الشمس، نبض قلبه.

قال لها الفتى: «ظننت أنني أرقد بين جناحي طائر الغاق وأميل برأسي على صدره الناعم.»

كان الفتى وردي اللون وسيم الملامح أجعد الشعر ولم يستطع إلا أن ينظر إلى الفتاة.

عمل الفتى في محطة الصيد بـ«فاير»، ولكنه شعر دائمًا بحاجة مُلحة لتبادل أطراف الحديث معها، مهما كان الوقت مُبكرًا أو مُتأخرًا.

وحدثَ معه مثلما حدثَ مع الآخرين حيث لم يعد يقوى على العيش بدونها، وفي اليوم الذى كان مُقدرًا له الرحيل، ذهب ليخطب ودها.

فقالت له: «لن أخدعك. فقد تمودت على صدري، وإنني على استعداد للتضحية بحياتي لأجنبك الشعور بالحزن. سأكون لك إذا استطعت أن تضع خاتم الزفاف حول أصبعي، ولكنك لا تستطيع أن تُبقيني لأكثر من نهار واحد. والآن سأنتظر، وإن كُنتُ سأشتاق إليك شوقًا شديدًا طوال الأيام القادمة وحتى يأتي الصيف.»

عادَ الفتى في يوم من أيام منتصف الصيف في قاربه وحده. وبعدها أطلعته على مكان الخاتم الذي يتعين عليه جلبه لها من بين الجُزر الصخرية.

قال لها الفتى: «إن كُنت قد أنقذتني سابقًا من فوق عارضة القارب، فبإمكانك إلقائي هناك مَرّةً أخرى. فأنا لا أستطيع العيش دونك.»

ولكن، عندما شرع في الإمساك بالمجاديف استعدادًا للرحيل، قفزت في القارب معه وجلست عند المؤخرة. كانت ذات جمال فاتن!

الجو صيفي جميل ومستوى البحر مُرتفع والموجات الطويلة تتابع الواحدة تلو الأخرى.

جلس الشاب هناك هائمًا فيها ضائعًا في عينيها، وجَدّفَ حتى تناهى إلى سمعه هدير الموجات المُتكسرة بين الصخور؛ كان الاضطراب قويًا وقد اندفع الزبد لارتفاع يضاهي ارتفاع الأبراج.

قالت الفتاة: «عُد أدراجك إن كانت حياتك غالية عليك.»، فأجابها بقوله: «إنك أغلى عندي مِن حياتي نفسها.»

ولكن بمجرد أن بدا للفتى كما لو كانت مُقدمة المركب على وشك الغرق وأنياب الموت تكاد تُطبق عليه، بدأ المشهد يتغير فجأة نحو الهدوء، وانطلق المركب بسلاسةٍ نحو الشاطئ وكأن الموجات العظيمة لم يكن لها وجود.

على الجزيرة استقرت مرساة صدئة لمركب عتيقة نصفها خارج مياه البحر.

قالت الفتاة: «مَهري موجود في الخزانة الحديدية الكائنة أسفل المرساة. احملها في قاربك، وضعَ الخاتم الذي تراه في أصبعي. بذلك سأكون لك عروسًا. والآن أنا لك حتى تغرب الشمس باتجاه الشمال الغربي وتتوارى وراء البحر.»

كان الخاتم ذهبيًا يتوسطه حجر أحمر اللون، وضعه الشاب في أصبعها وطبعَ قُبلةً عليها.

وفي شق بين الصخور، كانت هناك رقعة من الحشائش الخضراء، جلسا هناك وحظيا بخدمات خاصة لم يعرف كيف تحدث، ولم يكترث بمعرفة كنهها من فرط ما شعر به من فرح وابتهاج.

قالت الفتاة: «إنه يوم بديع من أيام منتصف الصيف. وأنا شابة يافعة وأنت عريسي. تعال إلى سرير عرسنا الآن.»

كانت رائعة الجمال، حتى أن الدنيا لم تسعه حبًا وعشقًا.

ولكن عندما اقترب الليل وبدأت الشمس تميل في الأفق وتتوارى وراء البحر، قَبّلته وانهمرت دموعها.

قالت الفتاة: «جميل هذا اليوم الصيفي والأجمل منه ليل الصيف. لكن ها هو الغسق يقترب.»

وفجأة بدا له أنها تهرم وتذبل تدريجيًا.

وعندما توارت الشمس، لم يرَ أمامه على الصخور مُباشرةً غير بعض الأسمال البالية المصنوعة من الكتان، ولا شيء خلاف ذلك.

كان البحر هادئًا، وفي ليالي مُنتصف الصيف حَلّقَ اثنا عشر طائرًا من طيور الغاق أعلى البحر.

كاهن «برونو»
(قصة حذاء البحر)



في هيجلاند، كان هناك صياد يُدعى «إسحاق». وذات يوم عندما كان يصطاد سمك الهلبوت[٣٦]، شعر بشيء ثقيل يتعلق بصنارته. فَجذَبه بقوة، وإذا به يعثر على حذاء بحري طويل العنق. حَدّثَ نفسه قائلًا: «إنه مُجرد بقايا!» وجَلسَ يتفحصه لفترة طويلة.

وبدا له أنه ربما كان بقايا حذاء أخيه الذى ضاع في البحر خلال العاصفة العاتية التي ضربت البلاد العام الماضي وهو في طريقه إلى أرض الوطن بعد رحلة صيد.

وكان هناك شيء داخل الحذاء أيضًا، لكنه لم يجرؤ على النظر إليها، كما لمْ يعرف تحديدًا ماذا يفعل بالحذاء البحري.

لم يشأ أن يعود به إلى البيت كي لا يخيف أمه، كما لم يفكر في قذفه في البحر مَرّةً أخرى. ولذلك، عَزمَ أمره على

٣٦ halibut : سمك الهلبوت أكبر وأهم أنواع السمك المُفلطح. يعيش الهلبوت في المياه الباردة، ويُتميز بجسم مفلطح وعينين على نفس الجانب من الرأس. تقع العينان على الجانب الأيمن ذي اللون البني الداكن، أمَّا الجانب الأيسر فلونه أبيض. يعيش الهلبوت في البحار الشمالية. وهو من أكبر الأسماك البحرية العظمية. يصل وزن الأنثى أحيانًا إلى ١٨٠كجم. (المراجع)

أن يتجه إلى كاهن «برونو» ليطلب منه أن يدفن الحذاء على الطريقة المسيحية.

قال الكاهن: «لكنني لا أستطيع دفن حذاء بحري.»

حَكّ الرجل رأسه وقال: «لا، لا!»، وبعدها أراد أن يعرف حجم رفات الإنسان التي تستحق أن تُقام لها مراسم دفن على الطريقة المسَيحية.

فقال الكاهن: «لا أستطيع الجزم بذلك تحديدًا. فلا يكفي سِن أو أصبع أو خصلة شعر لإقامة مراسم دفن وتلاوة الصلوات. على أية حال يجب أن يبقى من الجسد جزء كبير يستطيع المرء أن يجزم بأن الروح كانت تسكنه. ولكن قراءة النصوص المقدسة على أصبع قدم أو أصبعين في حذاء بحري، فلا! هذا لن يكفي مُطلقًا!»

ولكن «إسحاق» تَحيّن الفرصة وتَمكّن من إدخال الحذاء إلى ساحة الكنيسة دون أن يشعر به أحد، ثُمّ عاد أدراجه إلى البيت.

وبدا له أنه بذل ما في وسعه. فقد كان من الأفضل على كل حال أن يحتفظ بشيء لأخيه على مُقربة من بيت الرب من أن يُلقي به في غياهب البحر ثانيةً.

ولكن، قُبيل الخريف، وبينما كان مُستلقيًا بين الصخور ترقبًا لحيوان الفقمة وقد قذفَ المد بكميات كبيرة من طحالب

البحر المتعانقة تجاهه، اصطادَ الصياد براحة مجدافه حزام سكين وغِمدٍ خالٍ. وأدرك على الفور أنهما لأخيه.

فقد تفكك الغلاف السلكي للغمد المدهون بالقار والذى استحال لونه للبياض بفعل مياه البحر. وتذكرَ الصياد بوضوح حواره مع أخيه بينما جلس الأخير يشحذ أدواته على غمده. فقد تبادل أطراف الحديث معه عن الجلد المصنوع منه حزامه الذى استخلصه من حصان عجوز قَتلاه مؤخرًا.

لقد ابتاعا الإبزيم معًا من المتْجر يوم السبت، وباعت أُمهما عنب الجبل وطيور الطّيهُوج[٣٧] وصوف يقدر بثلاثة جنيهات. ولقد ثَملا بعض الشيء وقضيا وقتًا مُمتعًا عند لسان البحر مع بائعة السمك التي استخدمت قماشًا من لحاء الشجر لصُنع الأشرعة.

ولذلك أخذ الحزام معه ولم يُحدث أحدًا عنه. فلا داعٍ لإيلام الآخرين، هكذا حَدثَ نفسه.

ولكن كلما طالَ فصل الشتاء، جعل الصياد يشغل نفسه أكثر بأفكار تدور في فلك ما قاله الكاهن له. ولم تكن

٣٧ capercailzies: طائر يعيش في النصف الشمالي للكرة الأرضية ويشبه الدجاج المنزلي إلى حدٍّ ما. هناك عدة أنواع من طيور الطيهوج تعيش في الغابات والمستنقعات والأراضي العُشبية. للطيهوج ريشٌ باهتٌ، وهو ينمو حتى يصل إلى حجم الدجاجة الكبيرة وله أربعة أصابع مثل الدجاجة، ويرتفع الإصبع الخلفي فوق سطح الأرض، ويغطي الريش منْخَريه ويعيش عادة في البقاع المرتفعة أو الشمالية، ويغطي الريش سيقان معظم أنواع الطيهوج لحمايتها من التجمد. (المراجع)

لديه أدنى فكرة عما يجب أن يفعل إذا عَثُرَ على شيء آخر؛ حذاء آخر أو أي شيء ربما التقمه حَبّار أو سرطان بحري أو سمكة من أسماك القرش. وبدأ الخوف يتسلل إليه فعلًا من التجديف في البحر بين الصخور.

ومع هذا كله، بدا وكأنه مدفوع دَفعًا طوال الوقت إلى هناك؛ رُبما على أمل العُثور على ما يكفي من الرفات بحيث يدل الكاهن على مكمن الروح، ويقنعه بإقامة مراسم دفن على الطريقة المسيحية.

واعتاد الصياد على التجول وحده في حُلته البنية.

غير أنه بعد ذلك بدأت تنتابه كوابيس بشعة.

وفتح باب بيته بعنف في مُنتصف الليل لتندفع منه ريح البحر القارصة، وبدا له وكأن أخاه يمشي في الحجرة مُترنحًا وصارخًا فيه أنه يجب أن يستعيد قدمه مَرّةً أخرى، وأن الأشباح تجذبه إليه وتثني جسده.

لساعات وساعات طويلة ظَلّ شاردًا ولم يُحَرِّك ساكنًا للقيام بعمله، كان فقط يُحَدِّق بنظرة خاوية في الجدار الخامس[٣٨] للبيت. وفي نهاية المطاف شَعُرَ كما لُو أنه على وشك أن يفقد عقله بالفعل، نظرًا لمسئولية دفن القدم في ساحة الكنيسة التي أخذها على عاتقه.

٣٨ أي العدم حيث إن البيت يتألف من أربعة جدران فقط ومن ثمّ فإن الخامس يشير للاشيء.

فهو لم يَشأ أن يُلقي بها في البحر مَرّةً أُخرى، ولكن كان من المستحيل أيضًا أن توضع في ساحة الكنيسة.

وطرأ له فجأة وبمنتهى الوضوح والجلاء أن أخاه ليس مُقدرًا له أن يكون ضمن المباركين، وظَلّ يَجول ويُفَكِّر في كُل ما يمكن أن يرقد بين الصخور وينجرف ويطفو بينها.

ولذا، فقد أخذَ على نفسه عهدًا بأن ينبش بين الصخور، ويعد العُدة عند شاطئ البحر بما لديه من حبال وأدوات رفع البقايا من قاع البحر. لكنه لم يستخرج سوى الحطام والطحالب ونجم البحر، وغير ذلك من أشياء لا قيمة لها.

وذات ليلةٍ بينما كان جالسًا بجوار الصخور يُجَرِّب حظه في الصيد، وقد ألقى خيط سنارته بطُعمِها وكل الخطافات المُتصلة به إلى القاع من جانب قاربه، أصابَ الخطاف الأخير إحدى عينيه واقتلعها وألقى بها في القاع.

لم يكن هناك من داعٍ للبحث عن عينه الضائعة حيث استطاع أن يبصر طريقَ عودته إلى البيت جيدًا.

في المساء، استلقى وقد وضعَ ضمادة فوق محجر عينه، عاجزًا عن النوم من شدة الألم. وفَكّر طويلًا حتى أطبقت

الظُلمة عليه. فهل هناك من أحد في هذا العالم في مثل ورطته؟
وفجأة حدث أمر عجيب.

ظَنّ الصياد أنه ينظر إلى أخيه مباشرة في قاع البحر، وأنه رأى الأسماك تتقافز هنا وهناك بين حطام وطحالب البحر المُحيطة بسنارة الصيد. وقضمت الأسماك الطُعم وصارعت لإفلاته من السنارة وحاولت أن تفلت بعد أن علقت في الخطافات؛ أولها كان سمك القد ومن بعده «كلب البحر». وأخيرًا، جاء سمك الحدوق[39] ومَضغَ الماء قليلًا، كما لو كان يتذوق الطُعم قبل أن يبتلعه.

وهناك رأى ما لم يستطع أن يحيد ببصره عنه. بدا له أنه يرى ظهر رجل يرتدي ملابس جلدية، وأن أحد كُميّه عالق وراء مرساة قارب عشاري المجاديف.

وبعد ذلك، خرجت سمكة هلبوت بيضاء ضخمة وابتلعت الخطاف وصار المشهد مُظلمًا تمامًا.

تردد صوت مجهول في الأُفق: «يجب أن تُفلت سمكة

٣٩ haddock: من أهم مصادر اللحوم السمكية وينتمي إلى فصيلة سمك القد. ويميزه عن بقية أنواع سمك القد خط أسود على كلا جانبيه ونقطة سوداء خلف رأسه مباشرة وتكون الزعنفة الأولى على ظهر السمكة بشكل هرمي، أكثر منها على ظهر الأنواع الأخرى من سمك القد. ويعيش الحدوق على شواطئ شمال المحيط الأطلسي، ويوجد بكثرة في بحر الشمال. وتعيش صغاره قرب سطح الماء، وكثيرًا ما تعيش في مجسات الأسماك الهلامية. وتعيش أسماك الحدوق الكبيرة قرب قاع البحر. يصل وزن هذه السمكة إلى حوالي كيلو جرام ونصف. كما يصل طولها إلى نحو ٦٠سم. وتتنقل هذه الأسماك في مجموعات، وتأكل الديدان، والأسماك الصغيرة، والجمبري، وسرطان البحر. (المراجع)

الهلبوت الضخمة عندما تسحب سنارتك غدًا، فالخطاف يمزق فمي. لا طائل من البحث سوى في المساء عندما يعلو المد في المضيق على الجزر.»

في اليوم التالي، انطلق من فوره وأخذ قطعة من بلاط أحد الأضرحة ليُنقب بها في الأعماق. وفي المساء، عندما تحول المد، استقر في المضيق مَرّةً أخرى وبدأ يبحث.

على الفور، رفع مرساة القارب عشاري المجاديف الذي كانت خطافاته عالقة بسترة الصياد الجلدية التي تحوي بقايا ذراع بشرية.

وكانت الأسماك قد التهمت ما طالته أسنانها من الرفات عبر السترة الجلدية.

وعلى الفور، اتجه بقاربه إلى الكاهن.

صاحَ كاهن «برونو» قائلًا: «ماذا؟! أتريدني أن أتلو صلواتي على سترة جلدية قديمة مهترئة؟!»

أجابه «إسحاق»: «سأزيد عليها الحذاء البحري.»

رَدّ عليه الكاهن بصوت هادر: «يجب أن تعرض البقايا والمفقودات وحدف البحر في رواق الكنيسة.»

نظر «إسحاق» مباشرة في عيني الكاهن وقال: «كفاني الحذاء البحري الذي يُثقِل كاهلي. ولا أريد أن أتحمل مسئولية السُترة الجلدية هي الأخرى.»

أجابه الكاهن الذي كان قد استشاط غضبًا: «دعني أُعيدها عليك مجددًا؛ لا أستطيع أن أدنس الأرض المقدسة.»

حَكّ «إسحاق» رأسه مجددًا وقال: «لا، لا».

وعلى ذلك، رَضي بالأمر الواقع وعاد إلى بيته.

لكن «إسحاق» لم يهدأ ولم يسترح؛ فلقد صار يحمل أثقالًا هائلة على عاتقيه.

وفي الليل، رأى سمكة الهلبوت البيضاء الضخمة مَرّةً أُخرى. وظَلّت السمكة تسبح في الدوائر نفسها ببطء وأسى في قاع البحر وكأن هناك شبكة خفية تُحيط بها من كل جانب. وطوال الوقت كانت السمكة تبذل قصارى جهدها للتملص منها.

جلس «إسحاق» هناك وأخذ يُحَدِّق ويُحَدِّق حتى آلمته عينه المُصابة بالعمى مَرّةً أُخرى.

وفور أن خرج للتنقيب في اليوم التالي وأرخى الحبال، خرج الحبار الضخم البشع المنظر وأطلق دفقة سوداء من المياه أمامه مباشرة.

ولكن الصياد ترك القارب يجنح ذات ليلة بحسب اتجاه التيار؛ خارج منطقة الصخور دون أن يخرج عن الجزر. ولقد توقف على الأقل في نقطة محددة، كما لو أنه رسا بسرعة وسكن تمامًا بشكل مُذهل؛ ولم يكن هناك طائر واحد في الهواء ولا أية علامة على وجود حياة في البحر.

وفجأة، صعدت فقاعة ضخمة قبالة شراع السارية الأمامية مباشرة، وعندما انفجرت، سمع تنهيدة عميقة.

ولكن كان لـ«إسحاق» رأي آخر فيما رآه.

حَدّثَ «إسحاق» نفسه قائلًا: «سيعتني كاهن «برونو» بمسألة الجنازة، وإلا سأعرف سبب إعراضه.»

منذ ذلك الحين، أُشيعَ في الخارج أنه يتمتع ببصيرة خارقة للبشر، وأنه يرى أشياء كثيرة خاصة به يُخفيها عن الآخرين.

فقد كان يستطيع الجزم بأماكن تجمع الأسماك في البحر وأماكن نُدرتها. وكلما كانوا يسألونه عن أشياء كتلك، كان يجيبهم: «إذا لم أكن أعرف الإجابة، فأخي يعرفها.»

وذات يوم، صادف أن كاهن «برونو» كان عليه أن يخرج إلى الشاطئ في مهمة دينية، وكان «إسحاق» من بين الرجال المكلفين بتوصيله في القارب.

وانطلقوا جميعًا مدفوعين بنسيم عليل. ووصل الكاهن إلى وجهته سريعًا وأنهى مهمته على عجل. في اليوم التالي، كان عليه أن يُقيم قُداسًا في أبرشيته الخاصة.

قال الصياد: «يبدو اللسان البحري مشوبًا بالعواصف بعض الشيء. واقترب المساء. ولكن بعد أن وصلنا إلى هذه البُقعة، أعتقد أننا نستطيع العودة أدراجنا مَرّةً أُخرى.»

لم يقطعوا مسافة طويلة في رحلة عودتهم إلى الوطن؛ حتى دَوّت ريح عاتية، حتى أنهم اضطروا إلى تثبيت أربع عُقد معدنية.

وانطلقوا مع المطر الخفيف ونُدَف الثلج تتساقط من حولهم، بينما وصل ارتفاع الأمواج البيضاء ارتفاع البيوت الشاهقة.

لم يسبق لكاهن «برونو» أن خرج في مثل هذه الأجواء من قبل. أبحروا مُخترقين الأمواج الهائجة مُباشرةً وخرجوا من الجانب الآخر.

وسُرعان ما حَلّ الظلام الدامس.

وتألقَ البحر كما جبال الثلوج، ولم تهدأ الأمطار، واشتدت زخات الثلج.

كان «إسحاق» قد قام بتثبيت العقدة الخامسة عندما تفكك أحد الألواح الخشبية في منتصف القارب، فتدفقت

مياه البحر من أسفله، وقفزَ كاهن «برونو» والطاقم المُصاحب له على الجزء العلوي من ظهر القارب، وتصاعدت الصيحات الغاضبة بأن القارب سيغرق.

قال «إسحاق»: «لا أعتقد أن القارب سيغرق في رحلتنا هذه..»، وظَلّ جالسًا حيث كان عند الدفة.

ولكن بينما بزغ القمر من وراء زخة من زخات الثلوج، رأوا رجلًا غريبًا عند الصاري الأمامي في باطن القارب يجاهد لإخراج المياه من القارب بأسرع من تسربها إليه.

قال كاهن «برونو»: «لم أستعن بهذا الرجل الواقف هناك. يبدو لي أنه يزيح المياه مُرتديًا حذاءً بحريًا، ومن الواضح لي أيضًا أنه لا يرتدي سروالًا وليس من جلد يُغطي رجليه، والجزء العلوي من جسمه ليس أكثر من سترة جلدية خاوية تتحرك بفعل تلك الأجواء العاصفة.»

قال «إسحاق»: «أعتقد أن الكاهن رآه من قبل.»

استشاط كاهن «برونو» غضبًا وقال: «استنادًا إلى منصبي الموقر، فإنني أناشده مغادرة القارب.»

أجابه «إسحاق»: «لا، لا. وهل يستطيع الكاهن أن يُفسر لنا أيضًا كيف انخلع لوح الخشب هذا؟»

وبعدها تأمل الكاهن موقفه الصعب وقال: «يبدو لي الرجل قويًا جدًا، ونحن في حاجة ماسة إليه. وليست بخطيئة كبرى، على ما أظن، أن يمد أحد يدِ المساعدة إلى خادم من خُدام الرب في عرض البحر. ولكنني أريد أن أعرف ماذا يريد في المقابل.»

تلاطمت الأمواج من حوله ودوى صوت العاصفة هادرًا.

قال «إسحاق»: «مقدار مجرفتين أو ثلاث من التراب داخل حذاء بحري نتن وسترة جلدية مُهترئة.»

صاح كاهن «برونو»: «إذا كنت قادرًا على التجول هنا بالأسفل مَرّةً أخرى، فظني أنه لا بأس من أن تحل عليك البركة مَرّةً أخرى. ولتحل البركة أيضًا على ملء مجاريف من التراب.»

وفور أن قال ذلك، هدأت ثورة المياه داخل الجُزر الصخرية، وانطلق قارب الكاهن حتى اليابسة وكأنه محمول على موجة من ريش النعام لدرجة أنه اصطدم بمرتفع رملي على الشاطئ فانكسر الصاري.

ابنة جِني الرياح



فيما مضى كان هناك رَبانًا لسفينة يُدعى «باردن»، وكان «باردن» شخصًا عنيدًا لدرجة لا يستطيع أحد أن يُثنيه عن أي شيء ينتويه. فما دام قد اتخذ قراره بصدد أمر ما؛ فإنه ينبغي لهذا الأمر أن يتم بلا نقاش، فما يقوله يُنفذ دائمًا.

فإذا وعدَ بحضور حفلة راقصة، فيمكن للفتيات الاعتماد بثقة على وجوده هناك حتى ولو هبت العواصف وأمطرت السماء بغزارة.

سيأتي «باردن» بمُنتهى السرعة يستقل قاربًا[٤٠] إلى منزل أبيه، رغم العاصفة، ورغم الشعور بالإجهاد، وأي شيء آخر.

وفي الحفل ستصطف فتيات كثيرات في انتظاره ليبدأ بمراقصتهن برشاقة الواحدة تلو الأخرى، مُتيحًا للشباب برفقتهن إراحة أنفسهم من الرقص قدر الإمكان.

يمشي «باردن» دائمًا، وكما هو متوقع، بطريقة مختالة كالديكة. كما أنه قد يذهب لصيد أسماك القرش، ويغامر ليدخل إلى أعالي البحار التي لا تُبحر فيها سوى السفن

---

٤٠ Færing: قارب صغير ذو مجدافين.

الضخمة ولا شيء معه سوى رمح الصيد. وإذا كان هناك شيء لا يجرؤ أي شخص آخر على القيام به؛ يُصبح «باردن» هو الرجل المناسب لتنفيذ هذه المهمة. فهو قادر على النجاح دائما مهما كانت المغامرة غريبة أو متهورة. ولهذا السبب كان الناس في حديث دائم عنه.

الآن ... في عرض البحر ووراء تلك الجُزر الصخرية الصغيرة تقع صخرة كبيرة. وهي ملجأ للطيور البرية. يذهب إليها التاجر الذي يملكها مرة كل عام؛ ليحمل معه أحمالًا ثقيلة وثمينة من ريش الطيور. بطول هذه الصخرة شاهقة الارتفاع ظهر صدع على أحد جوانبها. ولم يعرف أحد إلى أي مدى توغل هذا الصدع داخلها.

وهكذا ... أصبح الوصول لهذه الصخرة وما عليها من ثروة أمرًا مستحيلًا لدرجة دفعت مالكها ليُعلن أن بإمكان من يستطيع الذهاب إلى هناك أن يأخذ ما يشاء من ريش الطيور لنفسه. فيما بعد أصبحت هذه المشكلة مَضربًا للأمثال. فعندما يظهر أمر لا يمكن القيام به كان الناس يقولون: هذا ممكن بقدر ما هو ممكن أخذ ريش الطيور من أعلى صخرة الـ«ديرافيج.»

أما «باردن» فقد مَرّ ذات مَرّة بجانب هذه الصخرة وهو يختلس النظر إليها وإلى الصدع فيها، فرأى حشودًا من الطيور وهي تُحَلِّق فوقها وتهبط عليها مرارًا وتكرارًا بطريقة شعر معها أنه يحتاج إلى تجربة حظه في الوصول إليها.

وبالفعل لم يضع «باردن» المزيد من الوقت، وبينما كانت الشمس تشرق كان هو ينطلق في رحلته. وجلبَ معه إلى هناك حبلًا طويلًا، وعندما وصل بالقرب من الصخرة ربط الحبل عقدتين أو ثلاث في نتوء صخري قريب، وأنزل نفسه تدريجيًا حتى أصبح في مواجهة الصدع تمامًا. وهنا تدلى وأرجح نفسه إلى الأمام ثم إلى الخلف عدة مرات حتى تمكن من إيجاد موضع ثابت لقدمه؛ ومن ثَمّ شرعَ في جمع ريش الطيور وتكديسه في الأكياس التي أحضرها معه.

استمر «باردن» في البحث عن الريش بداخل تلك الفجوة الصخرية حتى لم يعد يرى شيئًا سوى بصيص بسيط من ضوء الشمس القادم من خارج الصدع، فلم يعد قادرًا على جمع حتى واحد من مائة من الريش الموجود هناك.

مع ذلك لم يتوقف «باردن» عن محاولة جمع الريش كله حتى بدأ الغروب وتأخر الوقت بالفعل. المشكلة أنه عندما خرج مَرّة أخرى من الصدع، وجد الحجر الذى ربطه في طرف الحبل قد اختفى. والآن يتدلى الحبل مرخيًا على الجانب الآخر

من الصخرة؛ وكانت الرياح تهب بين الحين والآخر لتحركه داخلًا وخارجًا .. هنا وهناك. لقد تلاعب تيار الهواء بجنون بذلك الحبل لدرجة جعلته بعيدًا تمامًا عن الصخرة ومُتدليًا فوق الهاوية. فوقف «باردن» وهو يحاول مرارًا وتكرارًا الإمساك بالحبل حتى غربت الشمس تماماً لتختفي في قلب البحر.

وفي الفجر عندما بدأ ضوء النهار في الظهور مَرّةً أُخرى وهَبّ نسيم الصباح من البحر، سمعَ «باردن» فجأة شيئًا فوق رأسه يقول: «إنه يطير بعيدًا، إنه يطير بعيدًا!»

رفعَ «باردن» بصره إلى أعلى فوجدَ هناك امرأة ضخمة تمسك بطرف الحبل لتُبعده عن واجهة الجرف. وفي كل مرة يوشك على الإمساك به كانت تسحبه هي بقوة وتُثنيه بعيدًا عن الحائط الصخري. وكانت هناك ضحكة وهمهمة تُجلجل بين جنبات الصخرة بأكملها مصحوبة بـ «إنه يطير بعيدًا، إنه يطير بعيدًا!»

مَرّةً أُخرى استمر الحبل في التأرجح داخلًا وخارجًا هنا وهناك. فقال «باردن» لنفسه: «من الأفضل أن تثب فورًا وثبةً واسعةً، ولا تظل على هذا الوضع فتُصاب بالإعياء.» وكانت الوثبة التي يحتاجها كبيرةً للغاية، لكنه تراجع بالفعل إلى الخلف لمسافة كافية ثُمّ قفزَ.

لم يكن «باردن» قط من هذا النوع الذي يعجز عن الوفاء بما عليه القيام به. وبالتالي فقد تمكن بالفعل من الإمساك

بالحبل والتشبث به بقوة. المثير للدهشة أن واجهة الجرف بدت كما لو أنها تزداد طولًا من تلقاء نفسها، تمامًا كما لو أن هناك من يرفعها إلى أعلى!

أمام الجرف الصخري الذي ربط الحبل إليه، سمع «باردن» أنينًا وتنهيدةً آتية منه، ثُمّ قال له صوت ما: «أنا ابنة جني الرياح، والآن أنت تتمتع بسلطان عليَّ! وعندما كانت الرياح تهب وتئن، كُنت أنا مَن يفعل ذلك بسبب شوقي إليك. وسوف أهب لك دفة تؤمن لك الحظ والرياح الصديقة ليصاحبانك حيثما تذهب. كل من سيقف إلى جانبك سينجح ويتألق، أما ذلك الذي يقف ضدك فهو سيعاني مِن الفشل والتيه. كل هذا لأنني أنا مَن يتواجد بداخل هذه الرياح العاصفة. أنا ابنة جني الرياح.»

بعد ذلك أصبح كل شيء ساكنًا تمامًا على الفور، وفي البحر أسفل الصخرة تراجعت عاصفة قوية. وهكذا وقف «باردن» والدفة في يده وقد أدركَ أنها لم تكن شيئًا يُمكن الاستخفاف به أو التخلي عنه.

أبحَرَ «باردن» في طريق العودة إلى الوطن ووراءه نسائم سريعة تدفعه إلى الأمام. وقبل أن يبتعد كثيرًا قابل سفينة

تجارية صغيرة اشترت منه، طِبقًا لأسعار مدينة «بيرجن»، حمولته من ريش الطيور.

لم يشعر «باردن» بالرضا عن ذهابه إلى الصخرة مَرّةً واحدةً فحسب. لذا ذهب إلى هناك مَرّةً أخرى بنفس الطريقة وعادَ ومعه كومة من أكياس الريش وصلَ ارتفاعها حتى صاري السفينة. وعندما عادَ، قام بشراء بيوت وسفن كثيرة، ونمت ثرواته أكثر وأكثر. ولم يمض وقت طويل حتى امتلك مناطق بأكملها مخصصة للصيد شمالًا وجنوبًا. وأولئك الذين خضعوا له وقاموا بما أراده منهم ازدادت ثرواتهم وازدهرت أحوالهم، ومَرّت بهم الأيام سعيدةً؛ أما أولئك الذين اعترضوا سبيله فهلكوا في البحر واختفوا تمامًا. كل هذا لأن ابنة «جِني الرياح» كانت إلى جانبه.

وهكذا سُرعان ما سارت الأمور مع «باردن» من حسن إلى أحسن. والرياح التي كانت مواتيةً له سببت دمارًا لكل مَن وقفوا ضده بأي شكل من الأشكال. وأخيرًا أصبح غايةً في الثراء والنفوذ، لدرجة امتلك معها كُل مكان ناجح للتجارة وكُل مَرسى للصيد في إقليم «فينمارك» بالنرويج. كما كان يرسل سُفنًا ضخمةً لأماكن أبعد مثل «سبيتزبيرجين»[41]؛ فلم يجرؤ أحد قط على بيع السمك في شمال البلاد بأكملها

٤١ Spitsbergen: هي أكبر جزر أرخبيل سفالبارد النرويجي والوحيدة المأهولة بالسكان دائمًا. تبلغ مساحتها ٣٩ كم٢ تقريبًا. (المُراجع)

بدون موافقته. أما عدد مراكبه الشراعية التي تُبحر إلى «بيرجين» في كُل رحلة، فكان يصل إلى ثمانية عشر مركبًا.

لقد سيطرَ «باردن» على الأمور وأصدر أحكامه بهدف تحقيق الأفضل من وجهة نظره.

لكن القُضاة رأوا أن مثل هذه السلطة أكبر مما ينبغي لرجل واحد التمتع بها، فبدأوا في إجراء تحقيقات وتلقي شكاوى عن استبداده وتسلطه. وهكذا أرسل له القضاة مذكرة تحذيرية. ففكر وحَدّثَ نفسه قائلًا: «لكنني أتمتع بحق الحكم بسبب الدفة التي أمتلكها.» بعد ذلك قاموا باستدعائه قبل المُحاكمة، وبالطبع تَمَّ اتهامه بازدراء المحكمة.

بعد مناوشات كثيرة أصبحت الأمور في النهاية سيئةً للغاية، وأجر القُضاة للقبض على «باردن» بينما كانت هناك عاصفة شديدة تهب في هذه الأثناء. وتلك العاصفة كانت هي نفسها العاصفة التي أطاحت بهم إلى قاع بحار «فينمارك».

بعدها تَمّ تعيين «باردن» ليصبح رئيس القضاة بشكل مؤقت حتى يُرسل الملك قاضيًا آخر.

وهذا القاضي الجديد لم يقض فترةً طويلةً في منصبه حتى اتضح له أن «باردن» يقبض على زمام الأمور وليس هو. لذا تكرر نفس الأمر ثانيةً.

لقد كان استدعاء «باردن» للمحاكم أَمرًا عديم الفائدة، وبالتالي خَرجَ القُضاة للقبض عليه، وهلكوا هم أيضًا في البحر.

وعندما تَمَّ إرسال الحاكم التالي إلى «فينمارك»، لم يصل، ولم يجد الناس سوى عارضة سفينة الملك التي جرفها البحر نحو الشاطئ!! في النهاية لم يكن أحد ليجرؤ على الاتجاه بنفسه إلى الدمار المُحقق. وهكذا تُرِكَ «باردن» في حاله ليفرض سيطرته على الجميع. لقد كان حاكمًا قويًا على مستوى «فينمارك» بأسرها، لدرجة أنه تولى زمام الأمور كما لو كان هو الملك بنفسه.

لم تكن لدى «باردن» سوى ابنة واحدة؛ اسمها «بول». وسُرعان ما كبرت هذه الفتاة ليسطع جمالها الأخّاذ كما تسطع الشمس في الأُفق. ولم يكن هناك أي رجل صالح ومناسب بما فيه الكفاية ليفوز بها ويتزوجها، سوى ابن الملك نفسه. وقد جاءها خُطّاب من أماكن بعيدة دون جدوى. ولقد قالوا عنها إنها تستحق مَهرًا لم يُقدم أبدًا لأية فتاة في الشمال من قبل.

في إحدى السنوات حضرَ إلى الإقليم ضابط شاب ومعه خطاب توصية من الملك. وكانت ملابسه موشاة بالكثير من الذهب، فكانت تلمع وتتلألأ في أي مكان يذهب إليه لتخطف

أبصار من حوله. فاستقبله «باردن» استقبالاً حسنًا وساعده على تنفيذ أوامر الملك.

منذ ذلك اليوم الذى كان فيه شابًا يافعًا وتلقى إجابة «نعم أقبل!» من عروس المستقبل؛ لم يشعر «باردن» أبدا بمثل هذا القدر من السعادة البالغة إلا عندما ذهبت له ابنته في أحد الأيام لتخبره بتودد الضابط الشاب إليها، وبأنها على استعداد لإلقاء نفسها على الفور في البحر لو لم تتزوجه.

لقد فَكّرَ في أن هذا الأمر سيجعل سلالته جالسة دائمًا على عرش السلطة ليستمروا في الإمساك بزمام الأمور بعد رحيله.

وبينما سافر الضابط خلال الصيف في جولة حول البلاد، قام «باردن» بجمع مائة رجل للعمل على بناء منزل لابنته والضابط. وكان المنزل مُتألقًا كالقلعة، وكان مُشرقًا باحتوائه على كل تلك القاعات العالية وحجرات الاستقبال الكبيرة والنوافذ بالجدران المرتفعة، كما كان مفروشًا بالفراء وقماش الذهب والبلاط اللامع؛ وجميعها أشياء جُلبت من أقصى الجنوب.

في الخريف كان الزفاف الذي سمعت كل البلاد به وتحدثت عنه. ولم يمضِ وقت طويل بعد ذلك حتى بدأ «باردن» يكتشف الحقيقة، التي كانت مجرد شائعة مِن قبل، لقد أدرك أن الرجل الذى تزوج ابنته، ويا للسخرية، ينتهج نفس نهجه.

لقد كان يُطبق القانون ويُصدر الأحكام تمامًا كما يفعل «باردن»، بل لقد فرض سلطته أيضًا عليه هو نفسه، وهذا لم يحدث لمرةٍ واحدةٍ أو مرتين فحسب بل تكرر كثيرًا.

عندها ذهب «باردن» إلى «بول» وطلب منها توبيخ زوجها وأن تسرع في القيام بهذا. وقال لها إنه لم يرَ من قبل ذلك الرجل الذي لا يستطيع البقاء بجانب عروسه أثناء تلك الأيام التي لا يفعلان فيها شيئًا سوى تناول العسل سويًا. لكن «بول» قالت له إنها تزوجت رجلًا، من وجهة نظرها، لا تختلف شخصيته أبدًا عن شخصية والدها؛ وبالإضافة إلى كل هذا فإن منصبه يُحتم عليه الحفاظ على القانون وسُلطان الملك.

وفكر «باردن» في سهولة وإمكانية إقناع الشباب اليافعين، حيث يستطيع المرء أن يدفعهم لإطاعته فقط عندما يجعلهم يتوهمون بأن الأمور تسير على طريقتهم. ومن المذهل ما يمكن تحقيقه إذا كَرّسَ الإنسان الوقت الكافي لهذه الخطوة وانتفع بكل موارده على أتم وجه. وأي شيء سار على نحو خاطئ من الممكن إعادته إلى مساره الصحيح مَرّةً أخرى حالما يُحكم قبضته على مقاليد الأمور ثانيةً.

وهكذا عمل «باردن» على امتداح كل شيء يفعله صهره والتباهي به في كل مكان، بحيث لم تكن هناك فعلًا أية نهاية

لهذا الحديث. ولقد أعرب عن سعادته بأن مثل هذا الحاكم الحصيف والجليل جاهز لأن يحل محله عندما يأتي اليوم الذي يصير فيه شيخًا مُسنًا.

وبدأ بالفعل في ادعاء الضعف، وكان صوته يرتجف عندما يتحدث ليبدو كما لو كان رجلًا مريضًا وعاجزًا. لكن بالطبع لم يَفُت على ابنته قوة صفعه للأبواب وضربه الحجارة بعصاه بقوة يتطاير معها الشرر.

وخلال الانعقاد التالي للمحكمة، تَمّ فَرض ضرائب على «باردن» تُقدر بعُشر ممتلكاته طبقًا لقوانين الملك. فقط عندما وصلت الأمور لهذا الحد، توقع «باردن» أنه قد يدخل مَرّةً أُخرى في صراع مع القُضاة كما حدث مِن قَبل.

فَكّرَ «باردن» في أن كُل النساء تُعجبهن الأبهة والمظاهر وفي هذا الأمر لا تختلف «بول» عن أية امرأة أُخرى. أيضًا هي لن تكون ابنته إن لم تتمكن من السيطرة على زوجها. وبالتالي اشترى لها الذهب والمجوهرات وأشياء ثمينة أُخرى. ففي أحد الأيام جَلبَ لها سِوارًا، وسلسلةً في يوم آخر ثُمّ حِزامًا وحذاءً مُطرزًا. وفي كل مَرّة كان يخبرها أنه يُحضر لها هذه الهدايا لأنها هي نفسها أُغلى جوهرة يملكها؛ كما لا يوجد أي شيء في هذا العالم أغلى من أن يحضره لها. وبعدها يبدأ، وبأفضل

أسلوب مُنمق لديه، في التلميح فقط إليها بأنها قد تحاول الحديث إلى زوجها وإقناعه بالتصرف بشكل آخر.

حتى هذا الأسلوب في التودد إليها لم يكن ذا نفع كبير. وهكذا، سارت الأمور على نفس الوتيرة حتى حَلّ الخريف، قانون الملك أولًا ثم مشيئته تأتي بعد ذلك. فبدأ يتخوف من النهاية التي سيؤول إليها كل هذا. فكانت عيناه تشتعلان بغضب رهيب جَعلَ من حوله لا يجرءون على الاقتراب منه. وطيلة الليل كان يذرع المكان جيئةً وذهابًا وهو يصيح مُناديًا ابنته بأسوأ الأسماء.

وذات يوم ذهب إلى «بول» ومعه تاج ثقيل مصنوع من الذهب، وموشى بكثير من الأحجار الكريمة. وقال لها إنها ستصبح ملكة «فينمارك» و«سبيتزبيرجين» إذا تصرف زوجها طبقًا لمشيئته. هنا نظرت له ابنته بعناد؛ وأخبرته أنها لن تحاول أبدًا إغراء زوجها ليخرق قانون الملك.

تغير لون وجه «باردن» ليصبح في شحوب الحائط الموجود خلفه، وقذفَ بالتاج الذهبي لتتناثر شظايا الأحجار الكريمة منه على الأرض وتغطيها. وقالَ لابنته إن عليها معرفة أنه لا يوجد أي ملك آخر هنا سواه؛ والآن على الضابط الشاب أن يكتشف ما آلَ إليه مصير من سبقوه إلى هذا المنصب.

تجاهلت «بول» أباها تمامًا، لكنها مع ذلك نصحت زوجها بالرحيل فورًا عن البلاد. وفى اليوم الثالث للقائها بوالدها، حزمت كل حُليها وملابسها وغادرت على متن سفينة برفقة زوجها الضابط الشاب.

في تلك الليلة ضرب «باردن» رأسه في الحائط، ثُمّ ضحك ملء شدقيه ليسمع الناس من بعيد رنين تلك الضحكات، لكنه بعد ذلك بدأ في البكاء والانتحاب على ابنته. فالآن وفي عرض البحر هَبّت عاصفة قوية جعلت البحر أبيض اللون لُمدة أسبوع كامل من شدة هياجه. ولم يمض وقت طويل حتى جاءته أنباء عن غرق السفينة التي كانت تحمل ابنته وزوجها بينما يطفو الحطام بين الجزر الصخرية الصغيرة.

أخذ «باردن» الدفة التي كان قد حصل عليها من ابنة «جني الرياح» وثبتها في مؤخرة أكبر يخت يمتلكه. وقال لنفسه إنه أصبح إلهًا الآن، ويمكنه دائمًا الحصول على الرياح الصديقة التي تساعده على الإبحار لأية وجهة يريدها، وباستطاعته أن يحكم أي مكان يرغب فيه بهذا العالم. فأبحَرَ باتجاه الجنوب تُلاحقه نسائم قوية؛ تزايدت شدتها لتجعل أمواج البحر عاتيةً ومتلاطمةً ولتصبح في ارتفاعها مُشابهةً للتلال.

ازدادت قوة البحر أكثر وأكثر لترتفع أمواجه جِبالًا بيضاء من الماء تُضاهي في ارتفاعها الجدران الصخرية في «لوفوتين». صرخَ «باردن» قائلًا لنفسه: ألم يكن بوسع البحر أن يكون أهدأ حالًا وهو في سبيله لحكم العالم!! ووجه دَفته ناحية الجنوب مُباشرةً.

ولم يحاول أبدًا خفض شراعه ولو قليلًا. وازدادت العاصفة سوءًا تدريجيًا. وأصبحت أمواج البحر أعلى وأعلى. وحتى الآن ... لا زال «باردن» مُبحرًا بقاربه نحو الشمس.

سمكة هلدر



لقد كانت سمكة سلمون غريبة تلك التي عثر عليها «نونا» بنهاية خيط سنارته. فلقد كانت سمكة كبيرة وممتلئة وذات جلد لامع مُرقط باللون الأحمر. لقد تمددت على سطح الماء، وتلوت ببطنها ذي اللون الأصفر المتسخ؛ في محاولة منها للتملص من خطاف السنارة. وعندما أدخلها إلى القارب وحررها من الخطاف وجد أن برأسها شقين صغيرين في مكان العينين.

فَكّرَ واحد من البحارة: لابد وأنها سمكة «هلدر»[٤٢]، فهناك شائعة بأن هذه البُحيرة واحدة من البحيرات ذات القاع المزدوج. أما «نونا» فلم يُزعج نفسه بالتفكير كثيرًا في نوع هذه السمكة مادامت من النوع الضخم. ففي هذه اللحظة كان يشعر بجوع شديد، وصاحَ بالبحارة ليجدفوا بأسرع ما في وسعهم باتجاه الشاطئ ليتمكنوا من طهي هذه السمكة.

لقد ظَلّ جالسًا طوال فترة ما بعد الظهيرة بأكملها في بُحيرة الجبل دون أن يصطاد أي شيء؛ أما بالنسبة لسمكة

٤٢ Heldefish: اسم أي شيء ينتمي للجن أو العفاريت. بينما تعنى كلمة هولدا: إخفاء أو تغطية. وتشير الكلمة إلى خفاء سلالة الجن وأنها غير مرئية.

السلمون؛ فلم لم يَمُر على خروجها إلى البحيرة سوى ساعة واحدة قبل اصطيادها. لقد كانت تعوم في الماء مُستخدمةً ذيلها كما لو كان دَفةً، وتركت نفسها لتنخدع بطُعم الصياد. وها هي الآن تقبع فوق الطبق وقد تم طهيها.

الآن استرجع «نونا» شكل عينيها الغريبتين فوخزها بشوكته ليستطلع الأمر. في السطح الخارجي للسمكة لم يكن هناك أي شيء سوى الشقين، لكنه وجد بداخلها شيئًا أشبه بمُقلتي العين. أما الرأس فكانت غريبة الشكل، وكانت تبدو عجيبة من عدة جوانب. وهنا شعر «نونا» بالغيظ لأنه لم يفحصها بشكل أكثر دَقّة قبل طهيها؛ فالآن لم يعد من السهل محاولة معرفة حقيقتها. على أية حال كان مذاقها مُمتازًا؛ وهذا في حد ذاته أمر جيد.

في المساء كان هناك خطًا من الماء المتلألئ أمام عينيه وهو مُستلق ما بين النوم واليقظة يُفكر في تلك السمكة الغريبة التيً اصطادها. تخيل «نونا» نفسه في قاربه ثانيةً، وبدا له كما لو أن يديه تشعران بالسمكة وهي تتمدد وتتلوى للنجاة بحياتها، وتندفع برأسها إلى الأمام وإلى الخلف لتتمكن من الإفلات من الخُطاف. وفجأةً أصبحت السمكة ثقيلةً للغاية وقويةً جدًا لدرجة أنها سحبت المركب وراءها بينما كانت لا تزال مشبوكةً إلى السنارة.

استمرت السمكة في طريقها وهي تسبح بسرعةٍ هائلة، بينما بدت البحيرة كما لو أنها تتلاشى تدريجيًا وتجف. كان هناك شفط لا يقاوم للماء في الاتجاه الذي ذهبت السمكة إليه، لقد كانت ذاهبة باتجاه فجوة في قاع البُحيرة تُشبه القُمع، ولقد دخل القارب مباشرةً فيها.

انزلق القارب لفترةٍ طويلةٍ في ضوءٍ يُشبه ضوء الغسق؛ وبداخل نهر جوفي كان يندفع ويتدفق بقوة من حوله. أما الهواء فكان في البداية باردًا ومكتومًا؛ مع ذلك بدأ في التغير بالتدريج ليصبح مُعتدلًا ودافئًا أكثر فأكثر. أما مجرى النهر فهو يتدفق الآن بهدوء وفي صمت مع الاستمرار في الاتساع حتى اتخذ شكل بحيرةٍ كبيرةٍ.

فيما وراء حدود هذه البحيرة كانت هناك مساحات ممتدة من أراضي المُستنقعات، لم تكن واضحة بشكل كامل بسبب الظلام، حيث سمع أصواتًا كما لو أنها لوحوش ضخمة تتقدم بقوة وتسحق ما تطأه أقدامها. لقد رآها ترتفع وتتلوى مثل الأفاعي مُحدثةً صخبًا وضجيجًا، وتصدر عنها زمجرة وخوار وهي تتحرك في الطمي والوحل.

رأى «نونا» أيضًا من خلال الومضات الفسفورية أنواعًا مُختلفةً من الأسماك قريبة من مركبه، لكنها جميعًا

بلا أعين. ولقد لمح أيضًا أشباحًا لثعابين بحرية ضخمة تتحرك بعيدًا في الظلام. فأدرك الآن أنها كانت تخرج من هنا عندما كانت تبرز برءوسها قبالة الشاطئ في أيام الصيف الحارة عندما يصير البحر دافئًا.

كان هناك أيضًا تنين؛ رأسُه مُسطحة ومنقاره مشابه لمنقار البط؛ يندفع وراء الأسماك ويزحف إلى سطح الأرض من خلال مسالك موحلة كونها الطمي ورواسب المستنقعات.

عبر ذلك الظلام الدافئ والخانق كانت تهب من وقت لآخر تيارات هوائية باردة للغاية من المنحنيات والانثناءات الباردة في الجسد الأخضر الزلق واللزج لمخلوق الليجورم[٤٣]، والذي يحفر طريقه في الأرض ويأكل التوابيت المتعفنة في مقابر الكنيسة.

ويُقال أيضًا إن هناك وحوشًا بشعةً ومرعبةً ذات عُرفٍ مرسلة؛ تظهر من وقت لآخر في البُحيرات الجبلية لترتفع وتتلوى ثُمّ تأسر فريستها لتأخذها إلى المستنقعات والأراضي الموحلة. لكن ما رآه «نونا» كان لمحات سريعة لمخلوقات مُختلفة الأنواع؛ شبيهة بالبشر، فالصيادون والبحارة يلتقون لتأمل روعة البحر بينما يتطلع الفلاحون إلى ما وراء تلال الجن. علاوةً على هذا، كان هناك صوت أزيز خافت، وعدد

٤٣ Ligorm: ثعبان يأكل الموتى.

لا نهائي مِن المخلوقات التي تحوم وترفرف والتي كانت هيئتها مع ذلك غير مرئية للعين البشرية.

بعد ذلك انزلق القارب في مياه موحلة كثيفة يتدفق مسارها باتجاه الأسفل؛ حيث يزداد الظلام في الفضاء المُحيط والشبيه بظلام السراديب، مع ازدياد انخفاض المسار. وفجأةً سطعَ من فوقه شعاع ضوء ساطع عبر شقٍ مُضيء في مكان شديد الارتفاع.

وأحاطَ به ضباب خانق، وأصبح الماء أصفر اللون ومُعكرًا وقريب الشبه بالماء الخارج من المراجل البخارية. هنا خطر بباله ذلك الماء الفاتر غير الصالح للشُرب الذي يتدفق ويزيد على جانب الآبار الإرتوازية. لقد كان الجو حارًا جدًا، وكانت المياه تتساقط إلى عالم من المجاري المائية الدافئة والحِمم السائلة تحت القشرة الأرضية. كما تصاعدت من هاوية ضخمة تحته وتصدعات مثيرة للذهول حرارةٌ مُشابهة لتلك المُتصاعدة من الموقد. وفي نفس الوقت كانت شلالات الماء المغلي تَهدر وتَهز الأرض من تحتها.

فجأةً شعر «نونا» كما لو أن جسده يتراخى، ويحرر نفسه ليرتفع في الهواء. لقد شعر بخفةٍ لا مُتناهية، وبقُدرةٍ عجيبةٍ

على الطفو في أجواء أعلى مع الحفاظ على توازنه. ثُمّ قبل أن يعرف كيف حدثَ هذا؛ وقبل أن يختبرَ تلك القُدرة؛ وجدَ نفسه على سطح الأرض ثانيةً.

دمٌ فنلندي



في «سفارجورد» شمال «سينجي»، عاشَ صبي يُدعى «إيليرت». وكان جيرانه مجموعة من الفنلنديين العاملين بالبحر، ومن بين أطفالهم كانت هناك فتاة شاحبة صغيرة؛ أكثر ما يُميزها شعرها الأسود الطويل وعيناها الواسعتان. سكنت عائلة هذه الفتاة خلف جرف صخري على الجانب الآخر من صخور الخليج، وكانوا يعملون بالصيد للحصول على قوت يومهم، وكذلك كانت عائلة «إيليرت»؛ ولهذا السبب لم تكن هناك أية مشاعر طيبة بين العائلتين، فقد كان أقرب مكان للصيد صغيرًا للغاية، وكل عائلة كانت ترغب في الإبحار فيه بمفردها وبدون منافسة.

وعلى الرغم من عدم حُب والديه لهم؛ ومنعهما له من الاقتراب منهم، فلقد اعتاد «إيليرت» على التسلل باستمرار للذهاب إلى الفنلنديين. لقد كانت لديهم باستمرار حكايات غريبة ليقصوها عليه، كما سمع منهم أشياء عجيبة عما يدور داخل أعماق الجبال في موطنهم الأصلي؛ حيث كان الملوك الفنلنديون، سادة السحرة، يعيشون في العصور الغابرة.

هناك أيضًا سمع «إيليرت» حكايات عن كل ما هو موجود تحت البحر حيث مخلوقات الماء الشبيهة بالبشر وأشباح الـ«دروج»[٤٤] المُمسكة بمقاليد الأمور. وتتمتع هذه الأشباح بقوى الظلام الشريرة، لذا كانت الدماء تتجمد في عروقه في الكثير من الأحيان أثناء استماعه لقصصهم. ولقد أخبره الفنلنديون أن شبح الدروج عَادةً ما يُظهر نفسه بالقرب من الساحل تحت ضوء القمر؛ في تلك الأماكن التي يُغطيها الحطام والبقايا الخارجة من البحر؛ ومكان الرأس عند شبح الدروج حِفنة من الطحالب البحرية، لكنها مُرتبة بطريقة غريبة للغاية لدرجة لا يستطيع معها أي شخص يمر بالقرب منه من التحديق إليه والتفرس في وجهه الشاحب المُرعب. هم أنفسهم، الفنلنديون، رأوه في إحدى المرات وأجبروه على الخروج من قاربهم باستخدام المجاديف. وهكذا نادرًا ما كان «إيليرت» يجرؤ على الالتفات حوله أثناء سيره على عجل في الظلام مُتجهًا إلى منزله؛ ليدور حول اللسان البحري بمُحاذاة الساحل ويطأ بقدميه أكوامًا من الطحالب البحرية، بل إن العرق، في كثير من المرات، كان يتفصد من جبهته بغزارةٍ أثناء قيامه بهذه الرحلة.

---

٤٤ الدروج draug أو الدروجر draugr، ويطلق عليه كذلك الـ«أبترجانجر aptrgangr» وتعني حرفيًا «السائر مُجددًا» أو «الشخص الذي يسير بعد الموت». وفي الميثولوجيا النرويجية هو كائن غير ميت. وفي اللغة النرويجية الأصلية تعني «شبح». وفي الأدب النرويجي الأقدم هناك تمييز واضح بين الدروج البحري والدروج الأرضي. ويُعتقد أن الدروج يعيش في قبور الموتى من الفايكنج، بمثابة جسد للميت. وحيث أن قبور الشخصيات المهمة غالبًا ما تضم ثروات كبيرة، تحرص كائنات الدروج على حماية هذه الممتلكات حتى بعد الموت. (المُراجع)

ومع ازدياد قدر العداوة بين الكبار، كان كل طرف يجد بسهولة الكثير من الأخطاء التي يقوم بها الطرف الآخر، ولم يكن الحديث لينتهي أبدًا عندما يبدأ أهل «إيليرت» في التحدث بالسوء عن الفنلنديين؛ دائمًا هم قاموا بهذا وفعلوا ذاك ... إلخ. وهم حتى لا يشاركونهم الصيد والتجديف كما يفعل الأشخاص المحترمون، فطِبقًا للأسلوب الفنلندي؛ كانوا يقومون بضربات سريعة ومُرتفعة كما لو كانوا نساء وليسوا رجالًا، كما أنهم جميعًا يتحدثون سويًا ويُحدثون الكثير من الضجيج أثناء التجديف بدلًا من الجلوس «بصمت في القارب.» لكن أكثر ما كان يؤثر على «إيليرت» من هذا الكلام هو أن عائلات النساء الفنلنديات تمارس شعائر السحر والوثنية، أو شيء من هذا القبيل على حد قول الناس من حوله. ولقد سمع أيضًا عن وجود سِر لا يمكن التشكيك فيه على الإطلاق، وهو السبب في الشعور بالخجل من انتماء أي شخص لدماء فنلندية، وهو نفسه السبب وراء عدم تعامل الناس مع الفنلنديين باعتبارهم أشخاصًا محترمين بقدر الآخرين، وهو أيضًا السبب في تخصيص الحُكام لمكان منفصل لهم لدفن موتاهم في مقابر الكنيسة، بالإضافة إلى مكان منفصل عن الآخرين داخل الكنيسة. لقد رأى «إيليرت» هذا بعينيه في كنيسة «بيرج.»

كل هذا تسبب في غضبه لأنه لم يكن بيده حيلة ليمنع نفسه من حب عائلة الفنلنديين المستقرة على الجانب الآخر من الخليج، وبخاصة ابنتهم «زيلا». فقد كان هو وهي دائمًا معًا، وهي تعلم الكثير والكثير من الأمور عن مخلوقات البحر الشبيهة بالبشر. لقد أصبح ضميره يؤنبه عندما يلعب معها؛ منذ استمع لما يقوله الآخرون عن أهلها؛ وحينما كانت تُحَدِّق فيه بعينيها الواسعتين وهي تحكي له قصصها، كان يشعر ببعض الخوف منها. ففي مثل هذه اللحظات يتذكر أنها هي وأهلها ينتمون لسلالة ملعونة، وهذا هو السبب وراء معرفتهم للكثير من المعلومات عن تلك المخلوقات الغريبة التي يحكون عنها. من جهة أخرى كان التفكير في هذه الأمور يجعله يشعر بغضب مرير، خاصة عندما يمس هذا التفكير «زيلا». هي أيضًا كانت تدهش باستمرار من تصرفاته الغريبة معها، وهو ما لم تتمكن من إدراك دوافعها عل الإطلاق. بعد ذلك، وكعادتها، كانت سرعان ما تضحك منه وتتعمد إغاظته بجعله يجري خلفها بينما تذهب لتختبئ منه.

في أحد الأيام وجدها جالسةً على صخرة بجانب شاطئ البحر، وكانت في حضنها بطة برية حاول أحدهم صيدها، ويبدو أنها ماتت لتوها لأنها كانت لا تزال دافئة، وظَلّت «زيلا» تبكي بمرارة عليها. وقالت له من بين شهقاتها ودموعها

إنها كانت نفس البطة التي اعتادت بناء عشها كل عام تحت مظلة المبنى الخارجي لمنزلهم. لقد كانت تعرفها جيدًا، وأرته الريش المصطبغ باللون الأحمر في صدرها ناصع البياض. لقد أسقطتها ضربة واحدة، ولم تنزف سوى قطرة دم واحدة؛ لقد حاولت الوصول إلى عشها، لكنها ماتت في طريقها إلى هناك. بكت «زيلا» وبدت كما لو أن قلبها موشك على الانفجار، ثُمّ جففت وجهها بشعرها بأسلوب فنلندي عنيف. ضحك «إيليرت» منها كما قد يفعل أي صبي، لكنه بالغ في هذا قليلًا. وظَلّ مُمتقع الوجه طيلة الوقت، فهو لم يجرؤ على إخبارها بأنه في نفس هذا اليوم ضرب طلقة عشوائية بسلاح والده من خلف اللسان البحري على طائر بعيد كان يسبح بالقرب من الشاطئ.

في أحد فصول الخريف، كان والد «إيليرت» يائسًا للغاية؛ فمع توالي الأيام كانت سناراته تكاد لا تجد ما تصطاده في منطقة الصيد، وفي نفس الوقت كان مُجبرًا على رؤية الفنلنديين وهم يخرجون من البحر بالحمل الثقيل تلو الآخر. لقد كان متأكدًا أيضًا من ملاحظته لقيامهم بإيماءات خبيثة بينما هم على قاربهم. بعد كل هذا أصبح منزله بأسره يكن كراهية ومرارة مضاعفة للفنلنديين، وعندما كانوا يتحدثون في المساء عن هذا الأمر؛ كانوا جميعًا يتفقون على أن أعمال السحر والشعوذة الفنلندية لها علاقة بما

يمرون به. ولم يكن هناك سوى علاج واحد لهذه المشكلة، وهو فرك السنانير بعفن الموتى، لكن يجب أن يقوم بهذا شخص واع ويعرف كيف يُنفذ ذلك، خشية أن يُدنس أحدهم حرمة الموتى؛ وبالتالي يعرض نفسه لانتقامهم، كما أن أهل البحر سيتمكنون من فرض سيطرتهم عليه.

شغل «إيليرت» تفكيره بهذا الأمر؛ فلقد طرأ له أنه ربما يمكنه مشاركة عائلته فيما يرغبون القيام به لأنه كان على علاقة جيدة بالفنلنديين.

في يوم الأحد التالي، وبينما كان الفنلنديون في كنيسة «بيرج» قام «إيليرت» سرًا باستخراج حفنة من العفن من أحد مقابر الفنلنديين ووضعها في جيبه. في تلك الأمسية، وعندما عاد إلى المنزل، قام بنثر العفن على سنانير والده. الغريب في الأمر أنه في المرة التالية التي خرجَ فيها والده واستخدم السنانير تمكن من اصطياد كميات كبيرة من الأسماك؛ كما كان الحال في الأيام الخوالي. لكن بعد ذلك تعاظم قلق «إيليرت» بدرجة لا توصف. وكان يتوخى الحذر بشكل خاص عندما يتجمعون في المساء حول المدفأة وتظل الأركان البعيدة من الغرفة مُظلمةً، وكان يجلس هناك ومعه قطعة من الصليب في جيبه. وكان طلب «الغفران» من الموتى هو الأسلوب النافع الوحيد لحمايته من عواقب فعلته، وإلا سيجد يدًا خَفيةً تجره في الليل إلى مقابر الكنيسة؛ حتى ولو

قُيد بقوة وبحبال متينة إلى السرير. وعندما ذهب «إيليرت» في الأسبوعٍ التالي إلى «خطبة الوعظ ليوم الأحد» اهتم بالفعل بالذهاب إلى المقابر وطلب الغفران من الموتى.

مع تقدم «إيليرت» في العمر بدأ يفهم أن الفنلنديين؛ هُم أولًا وأخيرًا يُشبهون أفراد عائلته إلى حد كبير؛ لكن على الجانب الآخر كانت هناك فكرة تسيطر الآن على عقله ألا وهي أن الفنلنديين بالتأكيد سلالة وضيعة موصومة بالخزي والعار. مع ذلك لم يتمكن أبدًا من الابتعاد عن مُجتمع «زيلا»، كما أنهما كانا باستمرار سويًا كما كان الحال من قبل، خاصة في وقت التعميد وتعامل الكنيسة معهما باعتبارهما شخصين راشدين.

عندما صار «إيليرت» رجلًا واختلط بشكل أكبر مع أفراد الأبرشية، بدأ يعتقد أن هذه الصُحبة القديمة تقلل إلى حد ما من شأنه في أعين جيرانه، فقد كان كل الجيران يعتقدون بشكل جازم أن هناك شيئًا مُخزيًا مُرتبط بأصحاب الدم الفنلندي، وبالتالي كان يحاول دائمًا تجنب رفقتها.

فهمت الفتاة الأمر جيدًا، وعملت بالمعنى الحرفي للكلمة على الابتعاد عن طريقه. مع ذلك، وفي أحد الأيام وكما اعتادت منذ الطفولة خرجت من منزلها وتوسلت لأهلها أن يسمحوا لها بالذهاب معه في اليوم التالي إلى

الكنيسة مُستقلين قاربه. وفي ذلك اليوم كان هناك الكثير من الغرباء الذين حضروا من القرية، وخشي «إيليرت» أن يظن أي شخص أنه و»زيلا» مرتبطان، لذا قال باستهزاء وبصوت مرتفع حتى يسمعه الجميع: «ربما كان تطهير هذه الكنيسة أمرًا رائعًا للتخلص من شعوذة الفنلنديين.»، وبعد أن سمعت «زيلا» ما قاله؛ كان عليها أن تبحث عن شخص آخر ليصحبها إلى الكنيسة.

بعد هذا الموقف لم تتحدث «زيلا» معه ثانية قط، لكن «إيليرت» لم يكن سعيدًا على الإطلاق بهذه النتيجة.

الآن وفى أحد فصول الشتاء خرج «إيليرت» بمفرده لصيد سمك القرش. فجأة ظهرت واحدة، وكان القارب صغيرًا بينما السمكة ضخمة؛ ولم يكن «إيليرت» ليستسلم فانتهى الأمر بانقلاب القارب.

وظَلّ «إيليرت» طيلة الليل مُستلقيًا فوق القارب في وسط الضباب والبحر الثائر. والآن هو على وشك الدخول في حالة من الإغماء والنُعاس، وكان يدرك بشكل مشوش أن النهاية ليست ببعيدة، وكلما أسرعت في المجيء كان أفضل، لكنه فجأة رأى رجلًا في ملابس البحارة يجلس مُمدًا ساقيه على الطرف الآخر من قاع القارب ويرمقه بعينين مُحمرتين في

سخط ووحشية . كان الرجل ثقيلًا لدرجة بدأ القارب معها؛ فالغرق ببطء من الجهة التي جلسَ فيها. بعد ذلك اختفى فجأة، لكن بدا لـ«إيليرت» كما لو أن ضباب البحر ارتفع قليلًا؛ ثُمّ أصبح البحر هادئًا للغاية (على الأقل لا يوجد الآن سوى أمواج هادئة)؛ وفي مواجهته كانت هناك جزيرة رمادية صغيرة ومُنخفضة يندفع قاربه في اتجاهها.

كانت الجزيرة الصخرية مُبللة كما لو أن البحر انحسر لتوه عنها، ورأى عليها فتاة شاحبة ذات عينين رائعتين. كانت الفتاة مُرتدية رداء أخضر ويوجد حول خصرها حزام فضي عريض عليه أشكال مختلفة ومُشابه لما يرتديه الفنلنديون. وكان الجزء العلوي من الرداء مصنوعًا من جلد بُني قاتم اللون، وتحت أربطة الرداء ظهر قميص ناصع البياض يشبه في لونه لون ريش طيور البحر.

عندما وصلَ القارب إلى الجزيرة؛ نزلت الفتاة إليه وقالت له كما لو أنها تعرفه تمام المعرفة: «لقد جئت أخيرًا يا «إيليرت» لقد انتظرتك طويلًا!»

شعر «إيليرت» بقشعريرة باردة كالثلج تسري في جسده عندما أمسكَ بيد الفتاة التي ساعدته على النزول للشاطئ؛ كان هذا للحظة واحدة فقط ثُمّ نَسي بعدها كل شيء على الفور.

في مُنتصف الجزيرة كان هناك مدخل به مجموعة من السلالم المعدنية الهابطة والمؤدية إلى حجرة رائعة. وحينما كان «إيليرت» واقفًا وهو يُفكر قليلًا فيما يحدث؛ رأى زوجًا ضخمًا من كلاب البحر تسبح بالقرب منه. لقد كان طولهما يبلغ على الأقل من ١٢ إلى ١٤ ذراعًا.

مع هبوطه هو والفتاة السلالم، غطسَ الكلبان أيضًا في الماء، كل كلب على جهة من جهتي السلم. والغريب أيضًا في الأمر أن الجزيرة كانت تبدو كما لو أنها شفافة. وعندما أدركت الفتاة شعوره بالخوف من الكلبين، أخبرته أنهما مجرد اثنين من حُراس والدها، وبعد ذلك بفترة قصيرة اختفيا تمامًا. عندها قالت له إنها ترغب في اصطحابه إلى والدها الذى كان في انتظارهما. ثُمّ استطردت قائلةً بأنه إذا وجد أن السيد العجوز والدها، ليس وسيمًا على النحو المتوقع؛ فلا حاجة به لأن يجزع أو يندهش بشكل مبالغ فيه مما سيراه.

الآن أدركَ «إيليرت» أنه تحت الماء، لكن على الرغم من هذا لم يكن هناك ما يُشير إلى البلل أو الرطوبة في المكان. لقد كان يقف على أرض رملية بيضاء اللون مُغطاة بقواقع لونها أبيض وأحمر وأزرق وفضي لامع. ورأى مُروجًا مزروعةً بالأعشاب البحرية، وجبالًا مليئةً بغابات كثيفة مملوءة بالطحالب وبقايا البحر. أما الأسماك فهي تتواثب على كل جانب تمامًا كما تحوم أسراب الطيور حول الصخور القريبة من البحر.

وبينما كانا يمشيان معًا؛ قامت الفتاة بشرح العديد من الأشياء له؛ وفي تلك الأثناء رأى بالأعلى شيئًا يُشبه سحابةً سوداء بها خطوط بيضاء، وتحتها شكل يُشبه أحد كلبي البحر يتحرك إلى الأمام والخلف. هنا قالت الفتاة: «ما تراه هناك هو سفينة ضخمة. إن الطقس مريع الآن بالأعلى. وتحت السفينة يتحرك نفس الكائن الذى كان يجلس معك في قاع قاربك مُنذ قليل. إذا تحطمت السفينة ستصبح ملكًا لنا، وعندها لن يُمكنك التحدث لوالدي اليوم». لمعت عيناها وهي تقول هذا الكلام ببريق جشع ومتوحش، لكنه اختفى مَرّةً أخرى بسرعة وعلى الفور.

في الواقع، لم يكن من السهل على الإطلاق فهم عينيها. كانت القاعدة أن لونهما قاتم بشكل يتعذر فهمه، ويتلألآن بأمواج الليل ليعكسا بريق نيران البحر، لكن في بعض الأحيان عندما تضحك كانا يصطبغان باللون الأخضر البحري المتوهج.

الآن هما يمران مَرّةً أُخرى بجوار قارب أو سفينة نصف مدفونة في الرمال، وكانت الأسماك تسبح جيئةً وذهابًا من أبوابها ونوافذها. بالقرب من الحطام كانت تتجول كائنات تُشبه البشر؛ بدت كما لو أنها مكونة من لا شيء سوى دخان أزرق. فشرحت له مرافقته أن هذه هي أرواح الغرقى الذين لم يحصلوا على دفن مسيحي، ويجب الاحتراس منهم

لأن الموتى من هذا النوع أشرار. وهم دائمًا يعرفون متى يوشك شخص من جنسهم على الغرق. وفي مثل هذه الأوقات وخلال ليالي الشتاء يعوون بتحذير الموت الخاص بأشباح الدروج.

بعد ذلك مضيا قُدمًا في طريقهما عبر الوادي العميق المُظلم. فرأى في الجدران الصخرية فوقه صفًا من الأبواب البيضاء. هذه الأبواب لها أربعة أركان يخرج منها بصيص من الضوء، مُشابه لأضواء الشمال. يسطع عبر الظلام. أخبرته الفتاة أن هذا الوادي يمتد باتجاه الشمال الشرقي تحت إقليم «فينمارك» تحديدًا. وأن وراء هذه الأبواب البيضاء يعيش الملوك الفنلنديون الذي هلكوا في البحر. ثُمّ اتجهت إلى الأبواب وفتحت الأقرب منها. هنا وفي قلب المُحيط المالح يوجد آخر الملوك. والذي سَخّرَ النسيم لصالحه لكنه لم يتمكن بعد ذلك من تهدئته؛ فانقلبَ فوقه وأغرقه. هناك على كُتلة صخريةٍ ضخمةٍ؛ جلسَ رجل فنلندي وجهه أصفر ومُتغضنٌ وعيناه دامعتان ويرتدي تاجًا لامعًا له لون أحمر قاتم. وكان رأسه الضخم يهتز إلى الأمام والخلف فوق عُنقه المُتعب؛ كما لو أنه داخل دوامة في المُحيط. جواره. وعلى نفس الصخرة. جلست امرأة ضئيلة الجسم أكثر منه وهنًا وذبولًا. وكانت ترتدي تاجًا هي الأُخرى. بينما كانت ملابسها مُغطاةً بجميع أنواع الأحجار الملونة. أخذت المرأة في تقليب شراب ما بعصا

في يدها. أخبرت الفتاة «إيليرت» أنه لو تمكنت المرأة فقط من إشعال النار تحت هذا الشراب ستتمكن هي وزوجها من استعادة سيادتهما مَرّةً أخرى على البحر المالح، فما كانت تقلبه كان مزيجًا سحريًا.

ومع انعطاف الطريق بهما ظهرت أمامهما أرض مُنبسطة، في وسطها كانت هناك مجموعة من المنازل المُتراصة تُشَكِّل ما يُشبه البلدة الصغيرة، وبعد هذا بمسافةٍ بسيطةٍ رأى «إيليرت» كنيسة مقلوبة وبرجها الطويل مُتجه لأسفل كما لو كان هذا هو انعكاسها على الماء. شرحت له الفتاة أن والدها يسكن في هذه المنازل، والكنيسة هي واحدة من بين سبع أخريات موجودة بمملكته التي تمتد عبر «هيلجلاند» و»فينمارك.» ولم يعقد بها أي قُداس بعد، ولكن سيحدث ذلك حالما يتمكن الأسقف الغريق، الجالس في الخارج في قاعة الدراسة، من التوصل لاسم الإله الذى سَيُصلي له، وبعدها سيذهب كل أشباح الدروج إلى الكنيسة. وقالت له إن الأسقف قد ظَلّ جَالِسًا هناك يُفكر في المسألة على مدار ٨٠٠ عام، لذا هو بلا شك أوشك على الوصول لحلٍ ما. منذ ٨٠٠ عام نصحهم الأسقف بإرسال واحد من أشباح الدروج إلى كنيسة «رودو» ليستطلع الأمر؛ لكن في كل مَرّةٍ تُذكر الكلمة التي يريدها لا يتمكن من تذكر طريقة

نُطقها. ولقد قام الملك «أولاف» بتعليق جرس للكنيسة من الذهب الخالص على جبل «كانان،» ويحرسه أول كاهن جاء إلى «نوردلاند» مُرتديًا رداء الكهنة الأبيض. في اليوم الذي يقرع فيه الكاهن الجرس سيتحول الجبل إلى كنيسة حجرية كبيرة سيتردد عليها كل سكان «نوردلاند» في البر والبحر. لكن الوقت يضيع، وبالتالي كُل من يأتي إلى هنا يسأله الأُسقف عما إذا كان يعرف هذا الاسم أم لا.

عند هذه المرحلة شعر «إيليرت» بغرابة شديدة، بل لقد استغربَ أكثر عندما بدأ في التفكير واكتشف أنه هو أيضًا، ويا للهول، نَسي هذا الاسم!!

بينما ظَلّ «إيليرت» واقفًا هناك مُستغرقاً في التفكير، كانت الفتاة تتطلع إليه بلهفة. لقد بدا كما لو أنها رغبت في مساعدته لتذكر الاسم لكنها غير قادرة على ذلك، وعندها امتقع وجهها ليصبح غاية في الشحوب.

منزل شبح الدروج الذي يقفان أمامه الآن؛ كان قد شُيدَ باستخدام عوارض مركب ما وقطع ضخمة من الحطام، ونمت في فجواته جميع أنواع الأعشاب البحرية ومواد أخرى خضراء ولزجة. وكان المدخل مُكونًا من ثلاثة عمدان خضراء ضخمة ومُرعبة مُغطاة بقواقع الأسماك، أما الباب فهو مصنوع من الألواح الخشبية التي غاصت إلى قاع البحر

وكانت مليئةً بالمسامير المعقوفة، وفي مُنتصف الباب كان هناك شيء أشبه بالمطرقة، وهي عبارة عن حلقة مرساة معدنية ثقيلة وصدأة، والجزء الباقي والبالي مِن حبل السفينة لا زالَ مربوطًا إليها. عندما توقفا أمام المنزل امتدَّ ذراع أسود ضخم وفتحَ الباب.

أصبحا الآن موجودين بحُجرةٍ ذات قباب، وأرضها مفروشة برمال المحار الناعم، وفي الأركانِ جميع أنواع الحبال والخيوط ولوازم القوارب؛ من بينها أوعية خشبية وبراميل وأشياء أخرى مختلفة من خزين السفن. رأى «إيليرت» الدروج يجلس فوق كومةٍ من الخيوط المُغطاة بشراع ذي رُقع حمراء، لقدِ كان عريض المنكبين ومتين البنية ويعتمر قُبعةً لامعةً وقد أُزيحت إلى الخلف لتستقر فوق أعلى رأسه، وله شعر طويل مُضفر لونه أحمر داكن وكذلك كان لون لحيته، وله عينان صغيرتان دامعتان أشبه بعيني كلب البحر، وفم واسع ترتسم حوله في اللحظة الحالية الابتسامة الطيبة للبحارة. كان شكل رأسه يُذكرك إلى حد ما بالفقمة الضخمة المعروفة باسم «كلاكيكال»، وكان الجلد المُحيط برقبته داكنًا ومُشعثًا، أما رءوس أصابعه فكانت تنمو سويًا. مَكثَ الدروج في مكانه مُرتديًا الحذاء طويل الرقبة الخاص بالبحارة، وجوارب صوفية سميكة رمادية اللون تصل حتى فخذيه، وكانت ملابسه

التي يرتديها بسيطةً ومصنوعة من الصوف، وكانت هناك أزرار زجاجية لامعة على صداره. أما معطفه الجلدي الواسع فكان مفتوحًا ليظهر من تحته الوشاح الأحمر الصوفي الرخيص الذي يرتديه حول عنقه.

وعندما دخل «إيليرت» على الدروج، اعتدل الشبح في جلسته كما لو كان سينهض، وحيّاه بأسلوب طيب قائلًا: «صباح الخير يا «إيليرت»، أنت بالطبع مررت بالكثير من الأوقات العصيبة اليوم!! الآن بوسعك الجلوس وتناول بعض الطعام إذا شئت. أنت تريد الطعام، أنا متأكد من هذا». وانبثقت منه نافورة من عصير التبغ كما ينبثق الماء من ظهر الحوت. ومد إحدى قدميه، لها استخدام مُعين، لتزداد طولًا بشكل غير طبيعي، وجذب بها من أحد الأركان وبأسلوب أهل الشمال جمجمة حوت ليجلس عليها «إيليرت»، ثُمّ دفع بيده جارور سفينة طويل مليء بالأطعمة الرائعة. لقد كان هناك برغل مطهو ومعه عصير فاكهة وسمك مُملح وكعك الشوفان بالزبدة وكومة كبيرة من الرقائق، وإلى جانب كل هذا مجموعة من أفضل أطعمة الفنادق.

طلب الرجل البحري من «إيليرت» الجلوس وتناول الطعام؛ وأمر ابنته بإحضار أحدث برميل لديهم من ماء الحياة القادم من «ثروجيم»، ثُمّ قال له: «في هذا النوع الأحدث دائمًا هو الأفضل.» عندما أحضرت الفتاة البرميل؛ شعر «إيليرت» أنه

يعرفه؛ فلقد ذهب هو ووالده منذ يومين واشتريا مشروب البراندي من تاجر بيع بالجملة في «كفيفورد»؛ لكنه لم يذكر أي شيء عن هذا الآن. عجينة التبغ أيضًا التي لاكها الدروج بسرعة في فمه قبل أن يشربه؛ بدت له مُشابهةً إلى حد مُذهل لما يحدث في عائلته. وفي بادئ الأمر بدا كما لو كان يجهل كيف يتعامل مع هذا البرميل الصغير، فلقد كان فمه جافًا للغاية؛ لكن بعد ذلك مضت الأمور بسلاسةٍ.

جلسَ الجميع لفترةٍ من الوقت في صمت تام شربوا خلالها الكأس تلو الأخرى، حتى رأى «إيليرت» أنهم تناولوا ما فيه الكفاية من هذا الشراب. لذا عندما جاء دوره مَرّةً أخرى ليشرب، قال لهما إنه لم يعد راغبًا في المزيد؛ فأخذ الدروج البرميل وجرعه بالكامل حتى الثمالة. ثُمّ مَدّ ذراعه الطويلة لتصل حتى الرف وتناول واحدًا آخر. لقد أصبح الآن في حالة مزاجية أفضل، وبدأ في الحديث عن الكثير من الأمور المختلفة. لكنه كلما ضحك كان «إيليرت» يشعر بالغرابة لأن فمه كان يُفتح بشكلٍ مُرعب ليظهر بداخله صف من الأسنان الخضراء مع مسافات فاصلة طويلة بين السن والآخر، فكانت أسنانه شبيهة بصف من أوتاد القوارب.

شرب الدروج البرميل تلو الآخر، ومع الانتهاء من كل برميل، كان يُصبح أكثر تواصلًا وتفاعلًا. وكان ينظر لبرهةٍ إلى «إيليرت» وعلى وجهه تعبير من يفكر في أمرٍ طريفٍ

للغاية، ثُمّ يعود ليغض بصره عنه. هذا التعبير على وجهه لم يُعجب «إيليرت» على الإطلاق. فلقد بدا أنه يقول له: «الآن يا عزيزي، يا صيدي اللطيف احذر من أن أتغيرا». لكن بدلًا من هذا قال له: «لقد مررت بوقت عصيب الليلة الماضية يا ولدي، لكن لم يكن الأمر ليصبح بهذه الصعوبة لو لم تلطخ السنانير بعفن الموتى، ولو لم ترفض اصطحاب ابنتي إلى الكنيسة....» عند هذا الحد بَترَ حديثه فجأة؛ كما لو أنه قال أكثر مما ينبغي البوح به، وليمنع نفسه من استكمال الجملة، وضعَ برميل الشراب على فمه مَرّةً أُخرى. لكن في نفس اللحظة رأى «إيليرت» نظراته له، لقد كانت مليئةً بكراهيةٍ قاتلةٍ، تسببت في سريان قشعريرة في ظهره بأكمله.

بعد الانتهاء من رشفة طويلة، طويلةٍ للغاية، أبعد المخلوق البحري البرميل عن فمه، وعادَ مَرّةً أُخرى في حالة مزاجية جيدة، وظَلّ يقص عليه الحكاية تلو الأُخرى. ومدد جسده باسترخاء أكبر على الشراع، وكان يضحك ويبتسم برضا لما يرويه، وكانت دعاباته مرتبطة عادة بتحطم أو غرق شيء ما. من وقت لآخر كان «إيليرت» يستشعر أنفاسه وهو يضحك، وكانت أنفاسه مشابهة للرياح الباردة. وقال له لو تنازل الناس بسهولةٍ عن قواربهم، لم يكن ليغرق العاملون عليها؛ فهو لا يريدهم. كان كل ما يسعى وراءه هو الخشب

المجروف والعوارض الخشبية للسفن، فهو لم يكن ليستمر بدون هذه الأخشاب. وعندما يقارب مخزونه على النفاد كان عليه أن يحصل على قارب أو سفينة، وبالطبع لا يمكن لأحد أن يلومه على ذلك.

عند هذه الجزئية ترك البرميل الفارغ وأصبح كئيبًا إلى حد ما مَرّةً أُخرى. وبدأ في التحدث عن الأوقات العصيبة التي يمر بها هو وابنته، فالأمور لم تعد كسابق عهدها. ثُمّ ظَلّ يتطلع إليه بنظرات خاوية لبرهة من الوقت بدا خلالها أنه في حالة تفكير عميق. بعد ذلك تمددَ أكثر بجسده كله، ثُمّ مدد قدميه على الأرض وتثاءب بقوة هائلة لدرجة أن فكيه شابها عارضتي القارب المتواجهتين؛ ثُمّ غلبه النعاس لينام ورقبته محنية باتجاه الشراع.

عادت الفتاة لتقف ثانيةً إلى جانب «إيليرت»، ودعته ليتبعها.

سار الاثنان في نفس الطريق السابقة، وارتقيا مَرّةً أُخرى الجزيرة الصخرية، ثُمّ صرحت له الفتاة أن سبب شعور والدها بمرارةٍ تجاهه هو سخريته منها أثناء تحدثه عن تطهير الكنيسة عندما أرادت هي الذهاب إليها، ولقد ظَنّ الدروج أن الاسم الذي ترغب مخلوقات البحر في معرفته قد يكون مُسجلًا بذاكرة «إيليرت»؛ لكن خلال حديث الفتاة معه وأثناء

ذهابهما إلى والدها أدركت أنه هو أيضًا نسي ذلك الاسم. والآن عليه أن يمضي قُدمًا في حياته.

سيمر جزء لا بأس به من اليوم قبل أن يبدأ رفاقه في البحث عنه، وحتى هذا الوقت كان عليه أن يحظى بقسط وافر من النوم ليستجمع قواه لرحلة العودة، وهي ستسهر على حمايته.

أزاحت الفتاة شعرها الداكن الطويل نحوه كما تزيح الستار، وبدا له أنه يعرف هاتين العينين جيدًا. لقد شَعرَ كما لو أن وجنته ترتاح على صدر طائر البحر الأبيض. لقد كان دافئًا للغاية ومُشجعًا على النوم. كانت هناك ريشة واحدة حمراء اللون أعادت له ذكرى كئيبة. وبالتدريج غلبه النعاس، وسمعها وهي تُنشد تهويدةً ذَكّرته بأمواج البحر عندما تترقرق جيئةً وذهابًا على الشاطئ في يوم مُشمس ورائع. كانت التهويدة تدور حول صداقتهما القديمة ولعبهما معًا، وكيف تغير فيما بعد ولم يعد يتحدث إليها. مع ذلك، ومن بين كل ما أنشدته، لم يتمكن من تذكر شيء سوى آخر كلماتها والتي كانت:

«كم لعبنا سويًا آلاف المرات على الشاطئ. كنا نصطاد الأسماك الصغيرة، ألم تعد تتذكر ذلك؟ كنا نتسابق مع أمواج البحر وهي تجري فوق أقدامنا. كُنا دائمًا نخدع ذلك المخلوق البحري المترصد لنا. نعم، سَتُفَكِّر كثيرًا في أنشودتي،

طالما ظَلّت الأمواج تتحرك والنسيم يتنفس. من التي تنتحب الآن على وجنتيك؟ إنها تلك الفتاة التي منحتك روحها والتي عاشت روحها بداخلك. لكن عندما رجعت لدياري كما يعود البط البري، رقدت أنت خلفَ صخرةٍ وفي يدك بندقية تستهدفني. أطلقت نارك في صدري، ورأيت دمائي وهي تتساقط. إن الندبة التي أحملها يا حبيبي هي ندبتك أنت، هي من فعلتك أنت.»

بعد ذلك بدا لـ«إيليرت» كما لو أنها جلست واستمرت في البكاء عليه، ومن حين لآخر كانت تسقط قطرة كماء البحر فوق وجنته. لقد شَعرَ الآن أنه يُحبها من أعماق قلبه.

في اللحظة التالية عاوده الشعور بالقلق مَرّةً أُخرى. لقد تخيل أن حُوتًا يأتي فوق الجزيرة الصخرية، وعليه أن يُسرع الآن. وعندما اعتلى ظهر الحوت، غرسَ طرفِ المجداف في فتحة أنفه ليمنعه من الانطلاق في البحر مَرّةً أُخرى. لقد اعتقدَ أن بهذه الطريقة يستطيع التحكم في الحوت وقيادته بتحريكه للمجداف يمينًا ويسارًا. والآن غادرا أرض «فينمارك» بأكملها مُنطلقين بنفس الأسلوب الذي تقذف به الجزر الجبلية الضخمة الأحجار الصغيرة. ورأى خلفه الدروج جالسًا في قاربه النصف غارق، وكان يتحرك بخفة شديدة لدرجة أن زبدَ البحر ارتفع حتى وصل لمنتصف صاري القاربً. بعد ذلك بفترةٍ قصيرةٍ، كان مُستلقيًا مَرّةً أُخرى على الجزيرة الصخرية،

وابتسمت له الفتاة بابتهاج ثُمّ انحنت فوقه وقالت له: «هذه أنا يا «إيليرت»».

استيقظ «إيليرت» على هذه الكلمات ورأى أشعة الشمس ساطعةً على الجزيرة المُبللة. وكانت حورية البحر لا تزال جالسة جواره. لكن الأمور كُلها تغيرت على الفور أمام عينيه. لقد كانت الشمس الساطعة تُطل عليه عبر الألواح الزجاجية للنافذة. وهو مستلق على سرير في كوخ فنلندي، وبجانبه تجلس فتاة فنلندية تساعده على الجلوس. لقد اعتقد من حوله أنهُ على وشك الموت. فلقد ظَلّ مُستلقيًا هناك في حالة هذيان لُمدة ستة أسابيع منذ أنقذه الفنلنديون من غرق قاربه. وكانت هذه هي أول لحظة يستعيد فيها وعيه.

بعد ذلك شَعرَ أنه لم يسمع قط أي شيء غريب أو وقح من تلك الثرثرة الشائعة عن الدم الفنلندي، والتي تصم أصحابه بالعار أو تجعلهم محل احتقار. وفي نفس الربيع تمت خطبته إلى الفتاة الفنلندية «زيلا» وتزوجا في الخريف.

كان هناك الكثير من الفنلنديين في الزفاف. وربما قال الناس كلامًا كثيرًا عما يحدث هنا؛ لكن جميع الحضور في النهاية اتفقوا على أن عازف الكمان، كان فنلنديًا هو الآخر، هو أفضل عازف في الأبرشية بأسرها. بينما كانت العروس هي أجمل فتاة فيها.

هذه أنا!



ثَرثَرَ الجميع طويلًا عن الفتيات بالوادي أسفل الجبل، وعن الوقت الرائع الذي يقضينه هناك، لدرجة شعرت معها ابنة «جيجرا»[٤٥] بالسأم من كل هذا الحديث، وبدأت في إلقاء الصخور تجاه جانب الجبل. وقالت إنها عازمة على العمل بالوادي أسفل الجبل.

قال لها ساكنو الجبال: «إذن انزلي إلى جِني الأرض أولًا، ونظفي أنفك ورتبي نفسك، وهندمي شعرك بالمشط بدلًا من تمشيطه بالمذراة الحديدية.»

وهكذا نزلت ابنة «جيجرا» بخُطى ثقيلة إلى النهر حتى تصاعدت الأبخرة وثارت العواصف من حولها. ونزلت إلى جِني الأرض؛ حيث تم تنظيفها وغسلها وفركها وترتيب شعرها حتى بدت بمظهر حسن.

في إحدى الأمسيات وقفت خادمة ضخمة الأطراف، خشنة الوجه، بالقرب من باب مطبخ كبير التُجار، وسألت عما إذا كانوا في حاجة إلى خدماتها أم لا.

٤٥ Gygra: امرأة عملاقة، زوجة جِني الجبال الذي يحكم "دوفرفيلد".

قالت لها سيدة المنزل [٤٦]: «هذا يعني أنك بالتأكيد طاهية.» لقد بدا لها أن الخادمة من النوع الذي سيُقلب العصيدة بشكل رائع، ولن تشكو من القيام بالمزيد من أعمال تقطيع الأخشاب أو الغسيل، وبالتالي وافقت عليها.

لقد كانت فتاة فَظّة الطِباع وكانت أساليبها خشنة أيضًا. أول مَرّة حملت فيها حمولة من الأخشاب دفعت بباب المطبخ بعُنف لدرجة أن مفصلاته تحطمت. وبغض النظر عن عدد المرات التي جاء فيها النجار لإصلاحه، كان الباب يَظل دائمًا مخلوعًا وبدون مفصلات، لأنها تركله بقدميها بقوةٍ في كل مَرّةٍ تدخل منه حاملةً الأخشاب.

وعندما كانت تغسل الأواني، كانت أكوام وأكوام من القدور والأواني تتجمع بفوضى من وجبة لأخرى؛ بما يتجاوز سعة الأرفف أو المناضد، ورغم سرعتهاً في العمل، بدا أن عددها لا يتناقص أبدًا.

أما سيدتها فلم يكن لها رأي أفضل منها فيما تفعله. فعندما تشرع «تود»، هكذا كانوا ينادونها، في استخدام الفرشاة لتَجلي بكل قوتها أية آنية خشبية أو معدنية أو حتى مصنوعة من القصدير، كانت تبدو تلك الآنية رائعةً ونظيفةً، لكن هذا في حالة عدم تهشمها وتحولها إلى قطع

٤٦ زوجة كبير التجار.

تحت يديها. وعندما حاولت سيدتها تعليمها الطريقة الصحيحة للجَلي، لم تكن تفعل شيئًا سوى التنهد، والوقوف فاغرةً فمها ببلاهة.

لم يكن بهذا المطبخ من قبل كُل هذا العدد من أطقم الفناجيل المشروخة، وتلك الأكوام من الأطباق والأباريق المُهشمة أو مكسورة الأيدي. وبالإضافة إلى كل هذا، فإن «تود» كانت تتناول بمفردها كميات من الطعام مساويةً للكميات التي يتناولها جميع الخدم معًا. لذا شكتها سيدتها لرب المنزل وقالت له إنه كلما أسرعا بطردها كلما كان ذلك أفضل.

توجه كبير التُجار مُباشرةً إلى المطبخ وهو محمر الوجه، وضربَ بابه بقدمِه حتى هشم مفصلاته ثانيةً، وكان ينوي إخبارها بأنها لا تعمل في منزله من أجل الوقوف أمام المدفأة لتدفئ جسدها القذر فحسب. لكن عندما دخل إلى المطبخ ورأى تلك البهيمة الكسولة الوقحة وهي جالسة باسترخاء على مقعد المطبخ، ولا تفعل شيئًا سوى التحديق ببلاهة عبر النافذة إلى قواربه الراسية بالقُرب من الجسر والمُحملة بزيت دهن الحوت، شعر بغضب شديد، فلم يقل لها سوى «ارحلي من هنا فورا!».

أظهرت «تود» أسنانها وابتسمت ابتسامةً عريضةً وهي تشيح بنظرِها عنه. وقالت بما أنه حضر بنفسه إلى المطبخ؛ فيجب عليه معرفة أنها لم تأكل من طعامه في مقابل لا شيء.

ثُمّ مشت باتجاه القوارب وصهلت فاردةً ذراعيها أمام وجهها. وقبل أن يتمكن أي أحد من تخمين ما ستفعله؛ كانت تحمل على ظهرها البراميل الضخمة الثقيلة لزيت دهن الحوت. وعادت لتدخل من باب المطبخ وهي تبتسم. وتوسلت إليه بلطف أن يخبرها أين تضع هذا الحمل الثقيل.

وقف الرجل أمامها فاغرًا فَمه. فهو لم يرَ أبدًا مثل هذا الأمر مِن قبل. وهكذا استمرت في نقل البرميل تلو الآخر من القارب إلى المتجر. وظَلّ التاجر يضحك حتى تقطعت أنفاسه. وربت على فخذيه بسعادة لما كان يحدث أمامه. كما أنه لم يتوقف عن مديحها.

اندفعَ التاجر خارجًا من المطبخ بنفس السرعة التي دخله بها. وقال لزوجته: «ليست لديك أدنى فكرة عن تلك القوة الجبارة التي تتمتع بها هذه الخادمة.»

مُنذ ذلك الحينِ لم تكن الفتاة تقوم بأي شيء في المطبخ مهما كان بسيطًا. وإذا لم يقم أحدهم بتسخين شيء ما

بين الفينة والأخرى لتأكله. لم يكن ليتبقى أي طعام بالمنزل ليتناوله الآخرون. كل ما كان بإمكانهم فعله هو إبعادها عن المدفأة في وقت تناول الطعام.

وعندما اشتكت منها سيدتها مَرّةً أُخرى، قال لها زوجها إن عليها ألا تتوقع منها القيام بالكثير من الأمور، فالفتاة تحتاج حتمًا لبعض الراحة من وقتٍ لآخر بعد قيامها بنقل كل هذه الأحمال الثقيلة.

أما «تود» فكانت لديها دائمًا تلك النظرة المُستعطفة والابتسامة الجاهزة التي تظهر عندما يدخل التاجر إلى المنزل عائدًا من عمله. ثُمَّ أنها أصبحت سريعةً ونشيطةً بما فيه الكفاية لتذهب للقيام بجميع أنواع المأموريات سواء كان هذا يعني الذهاب بالدلو إلى النبع أو الذهاب للمتجر لشراء الخبز. لكن عندما تبتعد سيدتها عن طريقها، كانت تتولى القيام بما يُسعدها هي وبالأسلوب الذي تحبه.

وحالما يتم تعليق القِدر في مكانه، كانت «تود» تنسل ومعها طبق كبير لتحصل على أكبر قَدر ممكن من الطعام. كما كانت تُسارع بِنهم لالتهام طبق العصيدة قبل أن تمتد إليه يد أحد غيرها. وإذا اعترض أي من الخَدم على عدم حصوله على نصيب مساوٍ لها، كانت ترد عليه ببساطة قائلة: «هذه أنا!».

مع ذلك، وعلى الرغم من كل ما كانت تفعله «تود» مع الخدم، لم يحاول، أو بالأحرى لم يجرؤ، أحدهم على الانقلاب عليها. فقد أدركوا منذ المرة الأولى التي حملت فيها براميل الزيت أن هناك قوى خفية تُساندها وتَدعمها.

أما سيدتها فلم تكن غبيةً حتى لا تُلاحظ اختفاء قُدور وأواني الشراب والسُكر البودرة. كما أنها كانت تعرف أيضًا أين يذهب خُبز الزنجبيل والزُبد واللحم. فلقد اعتادت الخادمة الدخول عليها وهي تمضغ الكعك وتلعق الشراب المُتبقي على أصابعها. وهكذا استمرت الفتاة في التضخم واكتساب المزيد من الوزن لتبدو كما لو أنها على وشك الانفجار.

وعندما كانت السيدة تُخفي مفاتيح حجرة المخزن، كانت «تود» تطل برأسها من باب قاعة الاستقبال لتنظر بتوسلٍ واستعطافٍ للتاجر وتسأله إذا كان هناك ما يريدها أن تحمله إلى المخزن، فكان يرد عليها بالإيجاب ثُمّ يذهب إلى النافذة ويراقبها وهي تتحرك وتحمل براميل السمك وأجولة السُكر والطعام وتنقلها من مكانٍ لآخر. وكان يستمر في الضحك ولا يتوقف إلا ليسعل وليمسح العرق المُتصبب من جبينه، ثُمّ يصيح ليتردد دوي كلماته في المكان بأكمله قائلًا: «هل يستطيع أي من عُمالي أن يحمل تلك الأوزان التي تحملها «تود»؟»

وفي أحد الأيام، عندما عادَ التاجر إلى المنزل تتساقط من ملابسه قطرت الأمطار و أطرافه مخدرة من البرد، بسبب أول رحلةٍ يقوم بها في فصل الخريف، كانت «تود» هي أول من قابله لتفك له أزرار معطفه الجلدي كما حلت له عقدة قبعته وساعدته على خلعها وساعدته كذلك على خلع حذائه عالي الرقبة.

كان التاجر يرتعد بشدة، بينما لم تتباطأ «تود» على الإطلاق في خلع جواربه المُبللةً بكل ما علق فيها من شظايا لحاء وأخشاب الأشجار. ثُمّ بعد ذلك قامت بإشعال النيران في المدفأة وساعدته ليجلس بشكلٍ مُريح بالقرب منها.

هنا حضرت سيدة المنزل لتقدم لزوجها شرابًا ساخنًا، لكنها شعرت بضيقٍ وانزعاجٍ شديدين عندما رأت الخادمة وهي تتمسح وتتودد إلًى سيدهًا، فاندفعت خارجةً إلى حجرة الاستقبال وهي تصيح بغضبٍ عارم.

في صبيحة اليوم التالي استيقظ التاجر ليصرخ من الطابق العلوي في كل مَن بالمنزل باحثًا عن جواربه. وكان الجميع قادرين على استنتاج سبب غضبه واستيائه، فلقد كان عليه ارتداء ملابس الليلة الماضية المُجعدة والمُبللة ليخرج ثانيةً في هذا الطقس السيئ.

دفعَ التاجر بباب المطبخ وسألَ الخدم بغضب واستهجانٍ عن طول الفترة التي سيتركونه فيها مُنتظرًا استجابتهم. لكن بمُجرد دخوله من الباب حتى فتح فمه من الدهشة، وأشرقَ وجهه بمشاعر الرضا.

فعلى الحائط وبالقرب من حرارة المدفأة، كان معطفه وقبعته وبنطاله، وكُل قطعةٍ أخرى من ملابسه التي عليه أن يرتديها الآن، مُعلقةً لتجفَّ وفي أحسن حالةٍ لها. وعلى مقعد المطبخ رأى حذاءه الضخم موضوعًا بأناقةٍ، وقد تَمّ تلميعه بشدةٍ لدرجة يظهر معها البريق على كلٍ جزء منه حتى أربطته.

كان التاجر مذهولًا بمثل هذا الاهتمام الرائع الذي توليه له خادمته. وصاحَ بمَن حوله وهو في حالة دهشة ليقول لهم إنه لا يُصدق إمكانية حصول المرء على مثل هذا الاهتمام سواء في مقابل المال أو حتى بدافع الحب.

عند هذه النُقطة لم تتمكن زوجته من السيطرة على أعصابها لأكثر من هذا، وأمسكت بملابسه لتُريه أماكن الاحتراق والتهتك بها، وأن جانبًا كاملًا من المعطف كان مُجعدًا لشدة الحرارة التي تعرض لها وأنه على وشك التمزق. وبعدها سحبت برميل الزبد لتُريه كيف وضعت الخادمة

الحذاء به واستعملت الزبد بداخله في التلميع. أما التاجر فلم يفعل شيئًا سوى الوقوف مذهولًا وهو ينقل بصره ما بين حذائه وإناء الزبد. ثُمّ فجأةً ارتعشت خلجات وجهه وبدأ في تجفيف دموعه ثم سارع بالخروج من المطبخ حتى لا يراه الخدم وهو يبكي.

عندما تحدث التاجر مع زوجته قال لها من بين دموعه: «يا إلهي!! أنتِ لا تتخيلين النوايا الطيبة لتلك الخادمة.» ما المشكلة في استخدامها للزبد لتلميع الحذاء إذا كانت نواياها سليمة؟! كان هذا هو تبرير التاجر، وهو ما كان يعني أنه لم يكن مُستعدًا على الإطلاق لطرد هذه الفتاة من المنزل.

في النهاية استسلمت الزوجة للأمر الواقع، وتركت الخادمة الضخمة لتحكم وتتحكم كما يحلو لها. ولم تمضِ فترة طويلة حتى أمرت «تود» بأن يظل مفتاح حجرة المخزن في الباب من الصباح وحتى المساء. وعندما كان أحدهم يصيح من حين لآخر سائلًا: «من بداخل الحجرة؟»، كانت ترد هي ببساطة :»هذه أنا!»

لم تكن الخادمة لتبتعد عن صندوق خبز الزنجبيل، كانت تظل جالسةً أمامه لتأكل منه بلا انقطاع، وحتى سيدة المنزل نفسها لم تكن قادرةً على فعل أي شيء. أما فيما يتعلق

بالتاجر. فالخادمة لم تكن لتغفل أبدًا عن مراقبته. بينما كان هو يُمازحها باستمرار، ويسألها عما إذا كانت تتناول قدرًا كافيًا من الطعام أم لا. كما كان يقول لها إنه يخشى من أن يجدها في أحد الأيام قد ماتت من الجوع.

مع اقتراب أعياد الكريسماس، وبينما الجميع يستعدون للذهاب في رحلة صيد، كانت سيدة المنزل مشغولة في الإعداد للأمر قبل الحدث بوقت طويل كالعادة. فقامت بإحضار مرجل ضخم إلى حجرة المخزن لتستخدمه في غسيل ودبغ الجلود. أما الطُهاة الذين استعانت بهم للإعداد لهذه المناسبة، فقاموا بإعداد شرائح الليفسير[٤٧] وخَبزها وقَليها في الأواني المُسطحة، وكذلك قاموا بجلب براميل السردين والطعام واللحم المُملح والطازج من المتجر، وقاموا بوزن وقياس الكميات ليُعدوا في النهاية قدرًا كبيرًا من الأطعمة.

هُنا بدا لـ«تود» أنها غير قادرة على الاستمتاع بلحظة هدوء واحدة لتنقض على القدور والأواني. لقد كانت سيدتها في حالة حركة مُستمرة ما بين المخزن وخِزانات المطبخ، لتُحضر طعامًا ما أو سكرًا أو زبدًا أو شرابًا لإعداد شرائح الليفسير. باختصار، كانت حجرة المخزن بعيدة عن متناولها طيلة اليوم.

٤٧ Lefser: كعك رقيق يمكن طيه وتناوله مع شراب الفاكهة.

في النهاية لم تتمكن «تود» من الحفاظ على هدوئها، وأصبحت غاية في التوحش وقررت وضع نهاية لكل هذا الضجيج. وكان أول ما توصلت إليه هو تغطية مدخل المخزن بالصابون الأخضر.

في الصباح التالي دخلت سيدتها مُسرعةً إلى المخزن وهي تحمل كالعادة وعاءً ما؛ لتنزلق قدماها وتسقط في الفراغ ما بين السلالم وباب المتجر. ظَلّت السيدة على الأرض حتىَ جذبتها «تود» وحملتها إلى زوجها وهي تبكي وتصرخ بصوتٍ مُرتفع؛ سمعه كل من بالمتجر وهي تقول: «لقد كانت السيدة قلقة للغاية وكانت تتحرك في المكان باستمرار بسرعةٍ وتوترٍ شديدين، والآن آذت المسكينة نفسها وسقطت لتنكسر ساقها.»

عندما سمع التاجر هذا العويل والصياح، كان أكثر من شعر بالقلق وبكى بشدةٍ على زوجته، فهو لا يعرف كيف سيتصرف بمفرده ومَن سيعتني به.

فلا أحد يُقَدِّر قيمة ما تقوم به فتاة المطبخ هذه.

وهكذا أصبحت «تود» في الوقت الحالي هي المسئولة عن الإشراف على كل شيء بالمنزل وعن توزيع وإعداد المؤن والطعام، كما أنها أصبحت مسئولة عن تعيين الطُهاة للاستعداد

للحدث. كما أنها قالت لخدم المنزل إنهم يستغلون ويسرقون سيدها؛ وأنها هي مَن ستضع حدًّا لهذا الأمر.

ووفقًا لأوامر «تود»؛ تَمّ إعداد شرائح الليفسير دون إضافة الشراب بين الشريحة والأخرى، واستبدلت الزبد بالدهن. وبالإضافة إلى كل هذا قامت بتوزيع الشرائح بنفسها ووضعها في صناديق النيستبومر[٤٨].

ما أثارَ دهشة وسعادة التاجر هو أنه لم يعتد قط على الانتهاء من الأعمال المنزلية الكثيرة المطلوبة لرحلة صيد كهذه في مثل هذه الفترة الزمنية الوجيزة. كما أنه ذهل عندما اصطحبته «تود» إلى المخزن، وعرضت عليه كيف أنها لم تستهلك سوى أقل القليل أثناء إعداد المؤن، وكيف أن لحوم الضأن، كما هي، تتدلى مُعلقةً من السقف في صفوف وصفوف دون أن تقل كثيرًا.

عندما عادَ التاجر لزوجته، التي أصبحت الآن حبيسة فراشها بحجرتها في الطابق العلوي، قال لها: «طالما الأمور قد سارت على النحو الذي سارت عليه الآن، فعلينا أن نمنحها السلطة لتدير المنزل تمامًا كما كنت تديرينه.»

وطيلة موسم الأعياد، ظَلّت «تود» تخبز وتحمر وتقطع الطعام بحرصٍ شديد، لدرجة أوشك معها زملاؤها من الخدم

٤٨ Nistebommers: صناديق تستخدم عند الخروج في نزهة أو رحلة وتحتوي على المؤن.

على أكل ملاعقهم الخشبية وبقايا العظام لعدم وجود طعام كاف.

ولم يكن التاجر قد رأى من قبل طعامًا بمثل روعة تلك اللحوم وأضلعها السمينة، وشرائح الليفسير المليئة بالشراب والزُبد، وحلوى الـ«مولجي»[٤٩]، وغيرها من الأطعمة الرائعة، والتي قدمتها «تود» للضيوف الذين أتوا إلى منزله في الكريسماس.

وأثناء وجود الضيوف قام التاجر بسحب «تود» من ذراعها وذهب معها مباشرة إلى المتجر، وقال لها إن بوسعها أخذ ما تُريده من الأثواب والأوشحة وأي ملابس أخرى ترغب فيها لتتمكن من الاستعداد والتأنق لتحضر معه الحفل تمامًا كما لو أنها سيدة المنزل بنفسها، كما يمكنها التزين بالقدر الذي يحلو لها من المشغولات الحريرية والحُلي. لقد أوضح لها أنه لا يوجد أي شيء لا يمكنها الحصول عليه.

وعندما اجتمعَ كِبار رجال الدولة على مائدة اللعب بمنزل التاجر ودخلت «تود» لتضعَ مفرش المائدة، ذهل الحضور وكانوا على وشك السقوط عن مقاعدهم من شدة الضحك، فَمِثل هذا المنظر لم يروه من قَبل قَط. لقد كست «تود» نفسها بأوشحة من جميع الألوان والأشكال، كما زينت شعرها

٤٩ Mölje: كعك رقيق يتم تفتيته في الزبد.

بشرائط زرقاء وصفراء وخضراء اللون حتى بدا أشبه بذيول الأحصنة التي تجر العربات. مع ذلك لم يتفوه الضيوف بأية كلمة احترامًا للتاجر الذي رأى أنها تبدو غايةً في الأناقة وكان يدعوها باستمرار لتبقى برفقته.

وكان الضيوف مجبرين أيضًا على الاعتراف بأنها لم تبخل عليهم باللحم أو الشراب أثناء إعدادها للطعام. وفي الليلة التالية عندما سكر المدعوون وسقطوا كالأحجار، قامت «تود» بحملهم إلى أسرتهم كما تحمل الأطفال الرُضّع. واستمر الأمر على هذا النحو من احتفالات وتسلية واستمتاع بالوقت حتى اليوم الثاني عشر بعد الكريسماس، وربما حتى لما بعد ذلك.

في تلك الأثناء اعتادت «تود» توجيه الابتسامات المُتكلفة والتحديق في كُل مَن بالحجرة عندما تشعر أنهم لا يضحكون معها أو يداعبونها بالقدر الكافي. كما كانت تُقحم نفسها في وسط الحضور وتستمر في الدوران حولهم بكل ما وضعته من ملابس وحُلي، لتجذب انتباههم لها ولتقول لهم: «هذه أنا!!»

عندما حانَ موعد مُغادرة الضيوف، أقروا بأن التاجر كان على صواب عندما قال إن مثل هذا النوع من الخادمات يَصعُب إيجاده كل يوم.

أما أولئك الذين كان عليهم الخروج في رحلة الصيد التابعة للتاجر وكانت معهم مؤنهم المُعدة مُسبقًا، فلم يكونوا أغبياء بحيث لا يلاحظوا سيطرة «تود» على المتجر والمخازن أيضًا. وكما هو متوقع نفدت المؤن سريعًا، وبالتالي كان على الصيادين العودة إلى الشاطئ بسرعة في الوقت الذي امتلأ فيه البحر بأسماك القَد، وبينما كان البحارة الآخرون يذهبون إلى مدى أعمق ويستفيدون بتلك الرياح الرائعة المواتية للإبحار.

شعر التاجر أنه على وشك الإصابة بسكتة دماغية في ذلك اليوم الذي رأى فيه قواربه راسية وفارغة بالقرب من الجسر في ذروة موسم الصيد. ولقد توجهت مجموعة من البحارة إلى متجره برئاسة كبيرهم لمناقشته في الأمر وليقدموا له شكوى بما حدث. قال الصيادون إن الطعام الذي تم إعداده ووضعه في سلالهم لا يمكن تصنيفه باعتباره طعامًا آدميًا على الإطلاق. فلقد كانت شرائح الليفسير قاسية وجافة ولا تحتوي سوى أقل القليل من اللحم، أما بالنسبة للحم الضأن المُدخن فتقريبًا لم يجدوا سوى عظام فحسب.

في هذه اللحظة انطلق التاجر مُندفعًا إلى المخزن حيث توجد «تود»، التي كانت متابعة للموقف، وقالت له إنه باعتباره كبير التجار والمسئول عن توفير النفقات الضخمة المطلوبة لشراء خطاطيف الصيد وسلال جمع الأسماك والشباك

والسنانير؛ فهو بالتأكيد قادر على مساومة الصيادين على العمل بدون أن يضطر إلى توفير الرنجة المملحة والزبد الطازج وشرائح الليفسير والبُن المطحون لإطعامهم. وفي هذه الحالة لن يتضوروا جوعًا لأن البحر مليء بالأسماك فليصطادوا ويأكلوا منه.

بعد الانتهاء من حديثها قدمت «تود» للتاجر عينة من شرائح الليفسير، والتي كانت قد ملأتها بنفسها بالزبد وشراب الفاكهة، وطلبت منه أن يتذوقها. أكل التاجر من الشرائح واستمر في التهام الواحدة تلو الأخرى حتى سالَ الشراب على جانبي فمه. واعترف لها أنه لم يأكل من قبل شرائح ليفسير بمثل هذه الروعة.

بعد ذلك عادَ التاجر للصيادين وردّ عليهم بما قالته له «تود». لقد كان وجهه مُحتقنًا من الغضب. وركلَ وطردَ كُل الموجودين ليخرجوا من منزله مُهانين؛ أما كبير الصيادين «ثور»، الذي اعتاد قيادة السفينة الكبيرة، فَتمّ فصله هو وابنه من العمل.

في هذه الأثناء كان «كجيل»، الراعي، يختبئ في الصومعة أثناء وقوع هذه المشاجرة ليبتعد عن سيده الذي كان في حالة من الغضب والثورة العارمين. وعندما وقف ليسترق النظر إلى منزل التاجر رأى سيدة المنزل، والتي لم تغادر

سريرها منذ تسعة أسابيع، وهي تعرج باتجاه نافذة حجرتها لتراقب ما يجري.

لقد بدت السيدة في أسوأ حالاتها، وهي تبكي وتهز يديها النحيلتين بسبب رؤيتها لزوجها وهو يطرد كبير الصيادين لديه؛ ويخبره بأن يذهب للجحيم، بينما الآخر يمشي مُتثاقلًا وتبدو عليه إمارات المفاجأة والتشوش.

لم تجرؤ السيدة على القيام بأي شيء سوى الصياح بكلمة تعزية للصياد العجوز. أما «تود» فقد وقفت بجسدها الضخم العريض في مدخل المخزن وفي يدها طبق كبير مليء بحلوى الموجي لتلوح بقبضتها بعد رحيل الرجل. هنا كادَ «كجيل» أن يبكي هو الآخر، ورأى أنه لا يفترض بتلك الخادمة الضخمة أن تظل لثانية واحدة أخرى في منزل سيده أو تأكل من طعامه. لكنه لم يكن قد توصل بعد لفكرة مُحددة تُمكنه من تحقيق ذلك.

مُنذ تلك اللحظة راقبها «كجيل» بدقةٍ شديدة؛ لكنه على الرغم من ذلك عَجَزَ تمامًا عن فهم الكثيرِ مما يدورُ حولها.

مع اقتراب الربيع شعر التاجر بسعادة بالغة عندما نصب رجاله الصاري في سفينته الجديدة، والتي كانت سَتُبحر في أول رحلة تجارية لها إلى «بيرجن». لقد كان سعيدًا لدرجة أنه ظَلّ طِيلةَ اليومِ يقطع المسافة بين منزله والجسر ذهابًا وإيابًا

وهو يكاد يعدو، فلم يكن يتخيل أبدًا أن تُصبح السفينة بهذا الجمال وهذا الثبات.

عندما انتهى الرجال من إعداد السفينة وأشرعتها وأصبح كل شيء جاهزًا، دارَ التاجر على كعبيه وطقطقَ أصابعه، وقال مُخاطبًا نفسه: «يجب أن تذهب هذه الخادمة معي إلى «بيرجن»، فهي لم تسافر إلى المدينة من قبل قط. يا لها من فتاة مسكينة! أما بالنسبة لزوجتي فهي قد ذهبت معي مِن قبل ثلاث مرات إلى هناك وبالتالي لن يضرها عدم اصطحابي لها هذه المرة.»

بدا لـ«كجيل» أن في هذا التصرف أمرًا أعمق مما يراه الآخرون. أما بالنسبة لـ«تود» فهي عندما علمت أنها ستسافر إلى «بيرجن»، قامت بقلب المنزل بأسره رأسًا على عقب. أما المتجر فلم يكن فيه أي شيء جيد لها بما فيه الكفاية، ولم تترك هناك رَفًا واحدًا لم تُفتشه بدقةٍ لتحصل على أكثر الحُلي والملابس بريقًا ولمعانًا.

في المساء عندما استلقى الجميع ليحصلوا على قسط من الراحة ذهبت «تود» إلى المخزن ومعها شعلة ضوء. ولأن «كجيل» كان يستيقظ لحدوث أقل حركة حوله؛ فلقد استيقظَ بالفعل حالما تحركت «تود» وراقبها لحظةً بلحظةٍ ثُمّ تلصصَ عليها عبر فرجةٍ في الباب.

ورآها «كجيل» وهي تقطع الأطعمة المختلفة وتضعها بجانب بعضها البعض، الليفسير والكعك المُحلى واللحوم المختلفة، في صندوق ضخم كانت قد خبأته خلف براميل الرجة في وقت سابق. وفي تلك الليلة الأخيرة قبل مغادرتها إلى «بيرجن» كانت قد ملأت صندوق المؤن هذا بكميات ضخمة للغاية من الطعام لدرجة أنها جلست عليه بكُل ثقلها لتتمكن من إغلاقه. لكن على الرغم من محاولاتها تلك لم ينغلق الصندوق بإحكام، فقد كان مُمتلئًا للغاية. اضطرت «تود» في النهاية إلى التراجع قليلًا ثُمّ انطلقت لتركله بقوة كبيرة؛ لينغلق أخيرًا. الغريب في الأمر وما لاحظه «كجيل»، أنّ كعبها الذي استخدمته لإغلاق الصندوق كان أقرب لحافر الحصان منه إلى قدم إنسان.

بعد ذلك قامت «تود» بحمل الصندوق إلى إحدى العربات لتنقله بها إلى السفينة دون أن يراها أحد. وبعد الانتهاء من نقل الصندوق توجهت إلى الإسطبل وفكت أحد الأحصنة؛ لكن كان عليها أولًا القيام بمجهود كبير لأخذه إلى الخارج.

قاومَ الحصان «تود» عندما حاولت جره إلى العربة؛ كما لو أنه قد شعر بغرابتها وبارتباطها بقوى خفية. حاولت الخادمة سحب الحصان مَرّةً بعد الأخرى، إلا أنه استمر في الإحجام والرفس. وفي النهاية استخدمت باطن قدميها كما

تفعل أُنثى الخيل لتدفع الحصان خارجًا. ولقد كان ذلك أمرًا غريبًا بالفعل، ولم تره عين أي إنسان من قبل!! عندئذ اندفعَ «كجيل» خارجًا وتوجه مُباشرةً إلى التاجر ودعاه ليعود معه إلى الأسطبل.

عندما عادا وتحت ضوء القمر رأيا «تود» والحصان وهما يتصارعان سويًا بينما تصطدم حوافرهما بقوائم باب الإسطبل من حين لآخر. ومع احتكاك حوافرهما كانت تنطلق شرارات كثيرة في المكان.

فجأةً شَعر التاجر بقشعريرةٍ قويةٍ وتَرنحَ في وقفته، ثُمّ تدفقت الدماء لتسيل من أنفه. وقامَ «كجيل» بمساعدة سيده للعودة إلى مطبخ المنزل وغسل رأسه ووجه.

في هذه الليلة لم يتمكن التاجر من الخلود إلى النوم على الإطلاق، وظَلّ يذرع حجرته جيئةً وذهابًا ويركل الأرضية حتى صارت تُحدث صريرًا عاليًا. وحالما ظهر أول خيط لضوء اليوم التالي، أرسل «كجيل» إلى كبير الصيادين «ثور» بأموال له، واتّبعَ نفس الطريقة مع باقي الصيادين وطلبَ منهم الحضور للقائه عند الشاطئ.

طُلِبَ من «ثور» أن يرتدي ملابسه لأيام العُطلات، ويتوجه إلى السفينة الجديدة بصحبة زوجة التاجر بنفسها ليوصلها

مع آخر حمولة إلى السفينة. فَكّرَ التاجر في أن زوجته يجب أن تذهب معه في المقام الأول. ووافقت الزوجة بشرط أن تشتري رداء ووشاحًا حريريًا وساعة وسلسلة من الذهب؛ بالإضافة إلى جلب خادمة من هناك، وهو ما وافق عليه زوجها بالطبع.

كان الوقت مازال مُبكرًا، بينما ارتفعت راية السفينة وكان كل شيء فيها جاهزًا للإبحار. وعندما رُفع شراع السفينة وبدأت في الاستعداد للانطلاق في رحلتها كانت «تود» قد وصلت إلى الجسر وهي تنفخ وتلهث وترتدي كل ما أمكنها ارتداؤه من خواتم في أصابعها الضخمة، بينما جسدها الضخم كان مغطى بكل الشرائط الملونة، من أحمر وأصفر وأخضر التي أمكنها لفها حوله.

ووقفت على الجسر في انتظار أن يعود لها أحدهم بقارب؛ كي يُبحر بها حتى السفينة. وعندما بدأ البحارة في رفع مرساة السفينة؛ وظهر التاجر بغليونه الضخم ومنظاره المُقَرِّب، قامت بتصنع الابتسام والتبختر، ثُمَّ سرعان ما بدأت تتلوى وتهتز بعصبيةٍ وهي تصرخ: «هذه أنا!!»

لقد اعتقدت أن التاجر يحاول إلقاء نظرة، من خلال منظاره المُقَرِّب، على مظهرها الرائع وتألقها المدهش، لكنها فجأة رأت زوجة التاجر تقف بجانبه وهي مرتدية ملابس السفر ففهمت عندها أنهم يرحلون بدون أخذها معهم.

في هذه اللحظة بدأت «تود» في ضرب الجسر بقدميها؛ لتبدأ ألواحه الخشبية بدورها في الصرير، وقد أخذت في التصدع من تحتها. ثُمَّ قامت بإلقاء نفسها في البحر لتلحق بمرساة السفينة، ولقد تمكنت من هذا بالفعل. واستمرت في سحبها بقوة كمحاولة لإرجاع السفينة إليها حتى انكسرت سلسلة المرساة؛ لتطير هي في الجو للحظات قبل أن تسقط ثانيةً في الماء.

في النهاية انطلقت السفينة إلى وجهتها، ووقفَ التاجر ليراقب ما يحدث بالقُرب من الشاطئ، وهو مُستغرق في ضحكٍ متواصل، حتى أوشك على السقوط من فوق ظهر السفينة.

البيت الغربي في
الجبال الزرقاء



في يوم من الأيام، سافر ابن أحد المزارعين إلى مدينة «موين» ليحضر المناورات السنوية. وكان من المفترض أن يقوم بدور عازف الطبول. وكان طريقه يمتد بين الجبال، فهناك يستطيع أن يتدرب على طبلته بحُرية ويعزف مقطوعاته العسكرية مرارًا وتكرارًا دون أن يسخر منه أحد أو يحوم حوله الصبية كصغار الذباب.

وكلما مَرّ ببيت من البيوت الجبلية، كان يعزف مقطوعته كي يستقطب الفتيات اللائي كن يقفن ويلتففن حوله ويتبعنه من بيت لآخر.

كان ذلك في منتصف أكثر فصول الصيف حرارةً. وكان الفتى يبدأ تدريبه على طبلته من الصباح الباكر حتى ينال منه الإعياء والملل. ليصعد بعدها بمشقة جَرفًا شديد الانحدار وطبلته معلقة على كتفيه وعصتا الطبلة في حزامه العريض.

اشتدّ الحر أعلى التلال؛ ولكن في الصدوع كان الجو باردًا كما لو أن شلالًا من المياه الجارية يسري هناك. وحفلت الروابي الصغيرة بنبات عنب الدب بطول الطريق. وشعر الفتى برغبة

عـارمـة في أن ينحـنـي ويـقـطـف حـفـنـة مـنـهـا مـرة واحـدة. ولـذلـك استغـرقـه الأمـر فـترة طـويـلـة وصـولاً إلى الـقـمـة.

وبعـد ذلـك بلـغ مـنحـدرًا جـبليًا يعـج بأشـجـار الخـنشـار الـعـالـيـة. وكـان هـنـاك الـكـثـير مـن أجـمـات شـجـرة الـبـتـولا . وهـنـاك رأى المنظـر بـديعًـا وظـليلاً. ولـذا لم يـسـتـطـع أن يمنع نفـسـه مـن أن يـسـتـريح لبعـض الـوقـت.

خلـع عـنـه طـبلـتـه وسـتـرتـه ووضـع الأخـيرة تحـت رأسـه وقـبعـتـه عـلـى وجـهـه. وخـلـد لـلـنـوم بـسـرعـة الـبرق.

وبينمـا رقـد غـافـيًا هـنـالـك، راوده حـلـم بـأن شـخـص مـا يـدغـدغـه أسـفـل أنفـه بقـشـة حـتـى أنـه لم يـهـنـأ بـنـومـه؛ وفـور أن اسـتـيـقـظ، خُـيـل إلـيـه أنـه سـمـع صـوت ضـحـك وقـهـقـهـة.

كـانـت الـشـمـس حـيـنـئـذ قـد بـدأت تـلـقـي بـظـلال مـائـلـة. وبـعـيـدًا في الأسـفـل بـاتجـاه الأوديـة، اسـتـقـرت الأبخـرة الـدافـئـة الـتـي ظـلـت تـتـسـلـل صـاعـدة في ضـوء خـيـوط الـشـمـس الممتدة وأعـمـدة الـضـبـاب.

عـنـدمـا نـظـر خـلـفـه بحـثًـا عـن سـتـرتـه، رأي ثُـعـبـانًـا مُـسـتـلـقـيًـا يـرمـقـه بـعـيـنـين مـاكـرتـين. ولـكـن عـنـدمـا رمـاه بحـجـر، الـتـفّ حـول نـفـسـه ولاذَ بـالـفـرار.

ومَـرّةً أُخـرى، تـنـاهـى إلى مـسـامـعـه صـوت قـهـقـهـة وضـحـكـات مـكـبـوتـة بين الأجـمـات.

والآن جاءته تلك الأصوات من بين بعض أشجار البتولا التي انتصبت مُتألقةً في ضوء الشمس البديع؛ للأمطار التي أغرقتها والرذاذ الخفيف الذي علق بها. ولمعت قطرات المياه وتألقت حتى أنه لم يستطع أن ينظر إلى الأشجار كما ينبغي.

ولكن بدا وكأن شيئًا يتحرك بينها، وكاد الفتى أن يُقسم بأنه لمح فتاة نحيفة القوام ورشيقة تضحك وتسخر منه. كانت تختلس النظرات إليه من وراء يديها بسبب أشعة الشمس، وكانت أكمام لباسها مطوية لأعلى.

وبعدها بفترة وجيزة، ظهر قميص نسائي لونه أزرق داكن أعلى الأشجار الصغيرة المتاخمة للأشجار العالية.

انطلق الفتى يطارده على الفور.

واستمر يعدو ويعدو حتى ساورته فكرة التراجع عن تلك المطاردة، ولكن حينئذ تجلى له رداء وكتف عارٍ عبر فرجة بين الأغصان.

ومَرّةً أخرى انطلق كالسهم بأسرع ما يمكن حتى بدأ يعتقد أن الأمر برمته محض خيال صوّره له عقله.

وبعدها رآها في ركن من أركان الأجمات الخضراء. وكان شعرها قد انتُزِعَ من جدائلها بسبب السرعة الشديدة التي

انطلقت بها عبر الأجما. تسمرت في مكانها ونظرت خلفها كما لو كانت مرعوبةً بشدة.

لكن الفتى حَدّثَ نفسه بأنها طالما سرقت عصتي طبلته، فلا بد أن تدفع الثمن غاليًا.

وواصلا المطاردة مرة أخرى. هي من أمامه هو مَن خلفها.

وكانت بين الحين والآخر تلتفت إليه ساخرةً مُستهزئةً وتوحي بإلقاء شيء باتجاهه وكأنها تتلوى، حتى بدا أن شعرها الطويل المموج ينثني ويتراقص كذيل الثعبان.

في نهاية المطاف، التفتت نجوه، أعلى التل، وضحكت وأمسكت بعصتيه وأشارت بهما تجاهه.

ولكنه الآن أصبح مُصممًا على الإمساك بها. وكان قريبًا منها جدًا حتى كاد أن يمسك بها مرارًا وتكرارًا. ولكن قُبيل الإمساك بها بالقرب من أحد الأسيجة، كانت قد تجاوزته بينما تعثر هو خلفها وسقطَ في منطقةٍ مُسيجةٍ لمنزل عائلي.

وصرخت وهي تعدو باتجاه البيت قائلةً: «راندي، براندي، جيري، جونا!» فخرجت أربع فتيات تلبية لندائها؛ مُسرعات أسفل المرج.

لكن الأخيرة ذات المُحيا الجميل الأحمر والشعر الذهبي المُخضب بحمرةٍ بديعة، وقفت وحَيّته بدماثةٍ شديدة بعينيها الناظرتين بحياءٍ في الأرض كما لو كانتْ مستاءةً بشدة من تلك الألاعيب الطائشة التي يمارسنها على فتى غريب.

هنالك وقفت والحياء شيمتها والتردد. يا لها من مسكينة! وقفت كالطفل الذي لا يدري أينبغي أن يتكلم أم لا؛ لكنها كانت تمشي على استحياء باتجاهه طوال الوقت وتدنو منه شيئًا فشيئا. وعندما صارت قاب قوسين أو أدنى منه، حتى أن شعرها لامسه، فتحت عينيها الزرقاوين عن آخرهما ونظرت إليه مباشرة.

لكن نظرتها كانت حادةً بشكلٍ مفزع.

نادته إحداهن، وكان شعرها أسود مائل للزرقة وبعينيها نظرة نارية متوحشة: «تعال معي أيها الفتى وسأرقص لك. أم أن التعب نال منك؟» وظلت تتقافز جيئة وذهابًا وتُصَفِّق بيديها. وكانت أسنانها بيضاء ونَفَسُها حارًا، وكان بوسعها أن تجره جرًا معها.

ضحكت الأخريات وقلن لها: «احكمي وثاق ما بخلفك أولًا يا جيري السوداء!».

وعلى الفور تركت الفتى وتقلقلت وانثنت وعادت أدراجها بغرابة شديدة.

وتلوت بشكل يَنُم عن عدم ارتياح شديد كما لو كانت تُخفي شيئًا وراءَ ظهرها، وفي الحال أصبحت وديعةً للغاية.

ولكن الفتاة الجميلة المُشرقة ذات القوام النحيف الممشوق، التي انطلقت نحوه والتي بدت الأجمل بينهن على الإطلاق بالنسبة له، بدأت تضحك وتسخر منه مَرّةً أخرى.

ومهما عدا خلفها، لم يستطع الإمساك بها واستمرت تسخر وتستهزئ به قائلةً إنه لن يعثر على عصتي طبلته بعد الآن مُطلقًا.

ولكن مزاجها تحول بعدها؛ حيث ألقت بنفسها بسرعةٍ على الأرض وبكت. لقد تبعت عزفه على الطبل طوال اليوم على حد قولها، ولم تسمع من يضارعه في العزف على الطبول، كما لم تقع عيناها قط على فتى شديد الوسامة مثله وهو نائم. قالت الفتاة: «حينئذ قَبِّلْتُكَ» وابتسمت له بأسى شديد.

همست الفتاة الخجولة ذات الشعر الأحمر الذهبي: «حذار من فم الثعبان خشية أن يعضك أيها الشاب الريفي! والأدهى من كل ذلك إن لعقك أولاً.» وكان بوسعها أن تتسلل من بينهن بنعومة شديدة.

وعلى الفور تذكر الفتى الريفي الثعبان الذي كان رشيقًا وناعمًا وسريعًا ومتألقًا تمامًا كالفتاة التي كانت تستقر هناك على جانب التل تبكي وتنتحب وفي الوقت نفسه تسخر وتستهزئ وبدت حذرة ومنهكة بشكل عجيب.

ولكن فتاةً صغيرةً خرقاء بعض الشيء دفعت رأسها بسرعة بينهن وابتسمت في وجهه بخجل كما لو كانت تعرف أمورًا كثيرة تستطيع إطلاعه عليها. لمعت عيناها للداخل ولاح على وجهها بريق ذهبي باهت كذلك الذي ينتج عن انسحاب أشعة الشمس بروية بعيدًا عن المُنحدر الجبلي المغطى بالعشب.

قالت الفتاة: «في بيتي ستسمع موسيقى رقصة لاخيليجك التي لم يسمع بها أحد من قبل. وسألهو من أجلك وستسمع أشياءً لا يعرفها أحد قط. وستسمع كل الكائنات التي تنشد وتضحك وتبكي في جذور الأشجار والجبال وكل الأشياء التي تنمو حتى أنك لن تعبأ بشيء قط في العالم كله وستطرح مشاكلك كلها جانبًا.»

وبعدها تناهت إلى سمعه ضحكة ساخرة. وأعلى الصخور رأى فتاة طويلة قوية البنية ترتدي شريطًا ذهبيًا في شعرها وتمسك عصا ضخمة في يدها.

رفعت الفتاة بوقًا خشبيًا طويلًا بذراعيها القويتين الرائعتين، وألقت برأسها إلى الوراء بفخر واعتزاز وثقة، ووقفت بمنتهى الثبات كالصخرة أثناء عزفها.

وتردد صوت البوق بكل مكان في ظلمة ليل الصيف، وارتد صوته راجعًا عبر التلال.

ولكن الفتاة الأجمل والأكثر فتنة بينهن جميعًا التي ألقت بنفسها على الأرض وضعت أصابعها في أذنيها وقلدتها وهي تضحك وتسخر منها.

ثُمّ نظرت إليه بعينيها الزرقاوين مُختلسةً نظراتها من بين خصلات شعرها الأصفر الشاحب، وهمست له قائلةً: «إذا كنت تريدني أيها الفتى الريفي، يجب أن ترفعني عن الأرض.»

حَدّثَ الفتى نفسه وهو يساعدها على النهوض من الأرض قائلًا: «إنها تتمتع بقبضة قوية لا تليق بفتاة رقيقة.»

صاحت الفتاة: «ولكن يجب أن تمسك بي أولاً.»

وإلى البيت عَدوًا؛ هي أولاً وهو خلفها.

وفجأةً، توقفت ووضعت ذراعيها على خاصرتها ونظرت إليه مُباشرةً وسألته: «هل أروق لك؟»

لم يستطع الفتى الريفي أن ينكر ذلك. كان قد أمسك بها الآن وكان بإمكانه أن يطوقها بذراعيه.

صاحت الفتاة باتجاه البيت قائلةً: «هذا الفتى يود أن يتبادل معك أطراف الحديث يا أبي. إنه يود أن يتزوجني.»
وجذبته بسرعة نحو باب الكوخ.

هنالك جلس عجوز واهن البنية يرتدي ملابس رمادية اللون وقبعة أشبه بعبوة حليب، وكان يُحدِّق إلى الماشية التي ترعى بجانب الجبل. وكان هناك إبريق فضي ضخم أمامه.

قال العجوز بنظرةٍ ماكرةٍ في عينيه وهو يومئ برأسه: «أعرف أنه يسعى للبيت الغربي في الجبال الزرقاء.»

حَدّثَ الفتى الريفي نفسه قائلًا: «حسنًا، ذلك إذن ما يبغون، أليس كذلك؟» ولكنه أكمل بصوت عالٍ: «أعرف أن هذا عرض رائع. لكنني أعتقد أنه سابق لأوانه أيضًا. وفق عادتنا يتم إرسال وسيطيْن أولاً لترتيب أمور الزواج على النحو اللائق.»

قالت الفتاة بفطنةٍ مُبرزةً عصتي طبلته: «لكنك لم ترسل رسولين من قبلك، فهما هنا.»

وأضاف: «ومن المعتاد عندنا أيضًا أن نُلقي نظرة على الممتلكات أولاً. ولو أن الفتاة نفسها تتمتع بقدر كبير من الفطنة التي تكفيها وتفيض.»

وفجأةً ودون سابق إنذار تضاءلت الفتاة للغاية ولمعت عيناها ببريق أخضر بشع ......

صاحت الفتاة قائلةً: «ألم تطاردني طوال اليوم وتطلب ودي في المنطقة المطوقة بسياج هناك حتى أن أبي سمع ورأى كل شيء؟»

قال الفتى الريفي بطريقةٍ مشوبةٍ بالتملق والمُلاطفة: «من عادة الفتيات الجميلاتٌ أن يَتدلّلن ويتمنعن بعض الشيء.» وارتأى أنه يجب أن يكون حذرًا إلى حدٍ ما؛ فلم يكن الحُب هو دافعه لطلب ودها.

وبعدها بدا وكأنها تثني جسدها بأكمله إلى الخلف في شكل قوس تام، بينما دفعت رُأسها وعنقها للأمام ولمعت عيناها ببريق شديد.

ولكن العجوز رفع عصاه من على ركبته، ووقفت الفتاة هنالك مَرّةً أخرى يملؤها المرح والعبث كعادتها دومًا.

وراحت ترخي أطرافها وتتمطى ويداها في حزامها الفضي. ونظرت في عينيه مُباشرةً وضحكت وسألته ما إذا كان مِن هؤلاء الفتية الذين يَخشون الفتيات. وقالت: «إذا كان يريدها، فيجب عليه أن يطلق ساقيه للرياح مَرّة أُخرى.»

وانطلقت تتقافز وتتودد إليه وتسخر منه مجددًا. ولكن فجأةً، رأى الفتى، خلفها، ما بدا أشبه بظل شيء يتحرك بسرعة ويتقافز ويتلوى بشكل دائري عبر المرعى، وينثني للداخل والخارج بينما كانت الفتاة تمارس أساليبها المُتملقة عليه.

حَدّثَ الفتى عازف الطبول نفسه في ذهول: «يا له من نوع طويل ومثير للفضول من الأشرطة. وكم كانوا في عجلة من أمرهم كي اقترن بها. ولكنهم يجب أن يدركوا أنه لا يجوز طلب ود جندي في طريقه إلى المناورات العسكرية وتزويجه.

ولذلك صرح لهم بأن غايته من المجيء إليهم استرجاع عصتي طبلته لا خطب ود الفتيات، وسيشكر لهم إن تركوه يستعيد أغراضه الشخصية.

قال العجوز، مُشيرًا بعصاه: «ولكن ألا تلقي نظرة سريعة أولاً أيها الفتى؟»

وفجأة رأى عازف الطبول أبقارًا كبيرة الحجم رمادية بنية اللون ترعى في المراعي الجبلية كلها، وعزفت الأجراس المعلقة بأعناقها جلجلة تشي بمرحها. ولمعت دلاء وخزانات مصنوعة من أكثر أنواع النحاس بريقًا في كل مكان، ولم يرَ الفتى في

حياته قط مثل أولئك الفتيات الرشيقات الجميلات القائمات على حلب الأبقار. لا بد أن هذا المكان يحفل بثروات عظيمة.

قالت الفتاة: «لعلك تعتقد أن كل هذا مجرد إرث محدود أملكه هنا في الجبال الزرقاء.» وجلست على كومة تبن وتبادلت معه أطراف الحديث. «ولكننا نملك أربعة مراعٍ كهذا الذي تراه. وإرثي من أمي أكبر من ذلك كله اثنتي عشرة مرة.»

لكن عازف الطبول رأى ما رآه. وحدث نفسه بأنهم يتلهفون لإهدائه الممتلكات. وعلى ذلك، قال لهم إنه في ظل هذه الظروف الحساسة، يجب أن يختلي بنفسه كي يُفَكِّر في الأمر.

ولكن الفتاة أخذت تبكي وتعترض وسألته ما إذا كان قصد خداع فتاة صغيرة بريئة فيطاردها ويفقدها لبها. وقالت إنها وثقت به ثقةً عمياء وعَلّقت أمالها كلها عليه. وما كان منها إلا أن سقطت على الأرض وأخذت تنتحب.

جلست هنالك لا شيء يواسيها، وأخذت تميل إلى الأمام وإلى الخلف وشعرها يغطي عينيها حتى بدأ عازف الطبول بشعر بالأسى لها والغضب من موقفه الشخصي. يالها من ساذجة وحسنة الظن بالناس إلى أبعد الحدود.

ودون سابق إنذار، تلوت الفتاة وألقت بنفسها من على كومة التبن بعناد وضجر. راقبت عيناها المشهد كله

وبدتا ضيقتيْن وحادتين عندما نظرت إليه، وضحكت الفتاة ومازحته.

أجفل الفتى وتراجع بعض الشيء. وبدا له وكأنه يرى الثعبان الذي رآه من قبل تحت شجرة البتولا هناك بينما كان يتدحرج مُبتعدًا.

والآن صار يرغب في الرحيل بأسرع ما يمكن؛ ولم يعد مكترثًا بأن يتسم بالتحضر.

وبعدها شبَّت بصوت أشبه بصوت الأفاعي، ونسيت نفسها تمامًا،وتدلى ذيل طويل من وراء ثوبها وتحرك في جميع الاتجاهات.

وصاحت قائلة إنه لا يجب أن يُفلت منها بهذه الطريقة، بل يجب أولًا أن يُكَفِّر عن ذنبه على الملأ وأن تُعرض قضيته على الرأي العام من أبرشية إلى أخرى. وبعد ذلك نادت أباها.

وشعر قارع الطبول بيد تقبض على سترته، قبل أن يتم رفعه من قدميه لأعلى.

زُجَّ به في حظيرة أبقار خالية وأُغلقت عليه الأبواب.

هناك.. وقفَ ولم يكن من شيء ينظر إليه عبر شق في الباب؛ سوى ذكر ماعز عجوز. وكانت له عينان صفراوان

غريبتان وبدا أشبه بالعجوز، وتسلل شعاع من الشمس عبر ثقب صغير، وظل ينسحب لأعلى على جدار الحظيرة الخاوية حتى اختفى تمامًا في فترة متأخرة من المساء.

ولكن قُبيل الليل، همسَ صوت بالخارج: «يا أيها الفتى الريفي! يا أيها الفتى الريفي!» وعلى ضوء القمر، رأى الفتى ظِلاً يعبر أمام الثقب الصغير.

وعاود همسه: «اسمع! اسمع! العجوز نائم عند الجانب الآخر من الجدار.»

وأدرك الفتى من نبرة الصوت أن صاحبته هي الفتاة ذات الشعر الأحمر الذهبي التي عاملته بود شديد وكانت خجولة جدًا منذ أن مجيئه.

همست الفتاة قبل أن تنسحب بهدوء قائلةً: «لست بحاجة إلا لقول إن الفتاة ذات العين الثعبانية كان لديها عاشق من قبل، وإلا ما سارعوا بالتخلص منها وتزوجها بمهرها. يجب أن تعرف أن البيت الغربي في الجبال الزرقاء ملك لي. وقُل للعجوز إن التي كنت تطاردها طوال الوقت هي أنا، «براندي». انتبه! انتبه! ها هو العجوز قادم.»

لكن الظل عاد مُجددًا للظهور عند الثقب الصغير في ضوء القمر؛ ودفعن الفتاة ذات العنق الطويل برأسها

واختلست النظر إليه؛ مُتسائلةً: «أيها الفتى الريفي، هل أنت مُستيقظ؟»

وقبل أن تختفي أومأت إليه قائلة: «ستجعل منك الفتاة ذات العين الثعبانية مثار سخرية الجوار بأكمله. فهي حقودة وخبيثة وسامة. لكن البيت الغربي الكائن في الجبال الزرقاء ملك لي، وعندما أعزف هناك تُفتح لي البوابات عند سفح الجبال على مصراعيها، وخلفها تكمن قوى الطبيعية المجهولة. قُل إنك كنت تطاردني أنا «راندي» لأنني كنت أعزف ببراعة موسيقى «اللاجْليجك». انتبه! العجوز يتجول بجوار الجدار!»

وبعدها بفترة وجيزة، أظلم كل جزء من أجزاء الثقب الصغير، وتَعرّف الفتى على الفتاة السوداء من صوتها.

همست بصوت كالفحيح: «أيها الفتى الريفي!»

قالت: «اضطررت أن ألملم ثوبي ورائي اليوم، فلم نستطع الذهاب لنرقص رقصة الهالينج-فلينج معًا على المرعى الأخضر. لكن البيت الغربي في الجبال الزرقاء ملك شرعي لي. قل للعجوز إن «جيري» الطائشة هي التي كنت أطاردها اليوم لأنك مغرم أيما غرام بالرقص الصاخب السريع.»

وبعدها صَفَّقَت بيديها بصوت عالٍ وشعرت بالقلق على الفور خشية أن تكون قد أيقظت العجوز.

واختفت.

لكن الفتى جلس بالداخل، وقَلَّبَ الأمر في عقله، ونظر إلى القمر الباهت في فصل الصيف، وحَدّثَ نفسه بأنه لم يتعرض في حياته لموقف حافل بكل هذا الكم من الشر.

من آن لآخر؛ كان يسمع أصوات حركة وحكة وشخير ساخر وراء الجدار من الخارج. كان مصدرها العجوز الذي رقد بالخارج يحرسه.

صاحَ صوت آخر من الثقب: «أيها الفتى الريفي!»

كان صوت الفتاة التي وقفت على الصخرة بمنتهى الثبات بأردافها القوية وصوتها القيادي.

«لقد عكفت طوال ثلاثمائة عام أعزف على اللاجلو في ليالي الصيف في كل مكان، لكنني لم أستطع أن أستقطب أحدًا غريبًا إلى الجبال الزرقاء. ودعني أقول لك إننا جميعًا مشردون لا بيت لنا، وكل ما تراه عيناك هنا ليس إلا محض مظاهر خادعة. وكم من رجال سلبت تلك البهرجة ألبابهم وخدعوا بها، ولكنني لن أسمح للفتيات الأخريات بالزواج قبلي. وبدلاً

من أن تحصل أي منهن عليك. سأطلق سراحك من الجبال.
انتبه إليّ الآن! عندما ترتفع الشمس في كبد السماء، سيفزع العجوز ويزحف منزويًا في ركنه. وبعدها انتبه لنفسك. ادفع باب مخزن التبن بقوة، وسارع بالقفز من فوق السياج، وحينئذ ستتخلص منا إلى الأبد.»

استوعب عازف الطبول هذه النصيحة بسرعة وقرر العمل بها. وتسلل فور أن بدأت الشمس تصعد إلى كبد السماء، وأزاح السياج بضربةٍ واحدةٍ.

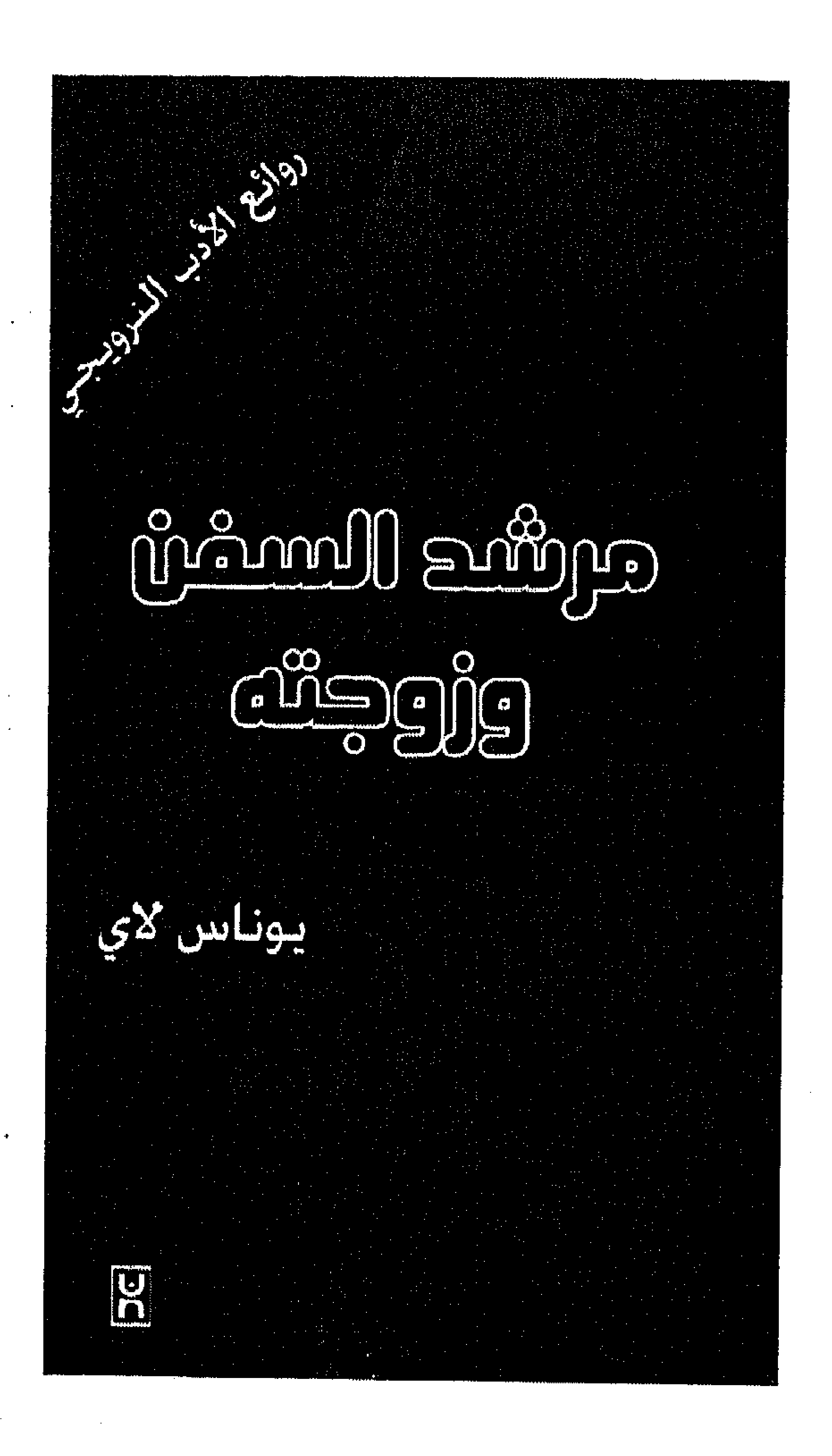
وبسرعة البرق كان قد وصل إلى الوادي مرةً أُخرى.

وبعيدًا جدًا باتجاه شروق الشمس في الجبال، سمع الفتى صوت بوقها الخشبي الطويل.

حمل طبلته على كتفه، وانطلق إلى المناورات العسكرية بمدينة موين، لكنه أقسم ألا يعزف مقطوعاته مَرّةً أُخرى على مرأى ومسمع من الفتيات خشية أن يجد نفسه، دون أن يدري، غريبًا في الجبال الزرقاء.



الفهرس



صدرَ في السلسلة رواية «مرشد السفن وزوجته»

جمعية نوافذ للترجمة والتنمية والحوار

تأسست جمعية نوافذ للترجمة والتنمية والحوار، مشهرة برقم ٦٦٤٨\٢٠٠٦، لتحقيق جملة من الأهداف طالما طمح المؤسسون إلى تحقيقها، ورأوا في الجمعية سبيلهم إلى ذلك، ومن بين هذه الأهداف:

- متابعة الجديد في مجال الترجمة؛ بما يسهم في تطوير مهارات المترجمين في مصر لتتوافق مع المعايير العالمية.
- الإسهام في الترجمة من وإلى اللغة العربية، بالتعاون مع الجهات المهتمة بمشروعات الترجمة ذات الصلة، بهدف إنجاز مثل هذه الترجمات بمستوى مميز وذلك من خلال فرق العمل (مترجمون، مراجعون، مدققون لغويون).
- إعداد قواعد بيانات للمترجمين في مصر.

ومنذ تأسيسها نجحت الجمعية في تحقيق ما يلي:

- تكوين فرق عمل تتمتع بمستوى مميز سواء في مجال الترجمة أو المراجعة والتدقيق اللغوي.
- التعاون مع اثنتين من كبريات دور النشر في مصر:
- ترجمة كتابين بالتعاون مع دار إلياس العصرية، ضمن سلسلة علماء العرب، وهما كتابا (البيروني والخوارزمي).
- ترجمة مجموعة كتب بالتعاون مع دار الشروق، ضمن سلسلة بعنوان (مقدمات موجزة للغاية)، صادرة عن أكسفورد.
- نشر مجموعة من الكتب بالتعاون مع مؤسسة اليابان الثقافية: كتاب «طيور الخريف-مائة شاعر-مائة قصيدة»، ترجمه عن اليابانية: د. أحمد فتحي، « الساموراي العظيم - يوشي تسونيه»، ترجمه عن اليابانية: د. أحمد فتحي، «الحطاب وأميرة القمر سيرة شعبية يابانية»»، ترجمه عن اليابانية: د. أحمد فتحي، «قارب الترحيلات، مختارات من القصة اليابانية الحديثة»، ترجمه عن اليابانية: د. وائل عرابي، وكتاب «المسرح الياباني المعاصر»، تأليف:د.عادل أمين.
- نشر سلسلة كتب تحت عنوان «من روائع الأدب النرويجي» بالتعاون مع مؤسسة نورلا النرويجية.

بريد إلكتروني: nawafez_society@yahoo.com
موقع إلكتروني: nawafezsociety.com

وتتجلى ألمعية (يوناس لاي) الحقيقية وأسلوبه المشوق بشكل كبير عندما يقص علينا أساطير إقليمه الأصلي "نوردلاند"، مُتمثلةً في بعض القصص المشئومة التي ترعرع هو نفسه في كنفها. ويتسق الفن الشعبي لهذه المناطق، دون القطبية، مع قسوة الطبيعة. فقلما نسمع عن عفاريت ودودين أو أقزام خرافيين هناك. فالكائنات الخرافية التي تسكن هذه الشواطئ والبحار خبيثة وشريرة في أغلبها. ومن الواضح أنها تكره البشر وتعشق السخرية من جهودهم وتتسلى بيأسهم وقنوطهم.

